القافلة

ذوالقعدة ١٤٠٧هـ يونيه/يوليه ١٩٨٧م

الأبعاد الكونيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

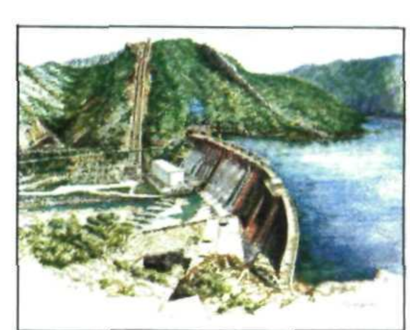
THE CARAVAN - JUNE/JULY 1987

ذو القعدة ١٤٠٧هـ يونيه/يوليه ١٩٨٧م
العدد الحادي عشر/المجلد الخامس والثلاثون

مجلة ثقافية
تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

تـوزع مجـانـاً

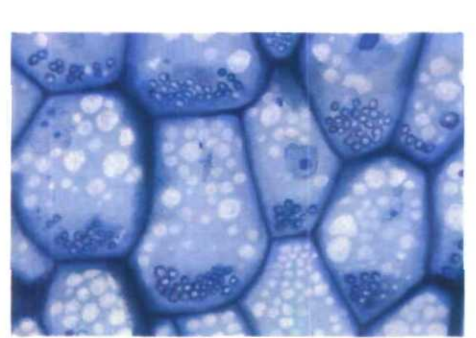
المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبوكشك



القطاع الزراعي ودوره في التنمية الاقتصادية



الأبعـــاد الكـونيـــة



كيف تستجيب الجذور للجاذبية

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

علاقة الآباء بالأبناء من خلال الشعر في العصر الإسلامي

بقلم: د. محمّد عثمان الملا
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

صوّر الشعر في العصر الاسلامي العلاقة القائمة بين الأب وابنه في صور شتى، تجلت فيها العاطفة الثرة والشوق الجامح والنفس الراضية والفؤاد الجريح. وصوّر الآباء ناصحين ومرشدين، والأبناء بارّين وعاقين. كما صوّر أهمية الأبناء في حياة آبائهم ومدى حاجتهم اليهم اعوانا ومؤنسين.

فهذا الفرزدق في رده على زوجه «النوّار»، حيث عيّرته بأنه لا ولد له يرثه اذا مات ويحمل اسمه من بعده، يشير الى العزة التي يجلبها الأبناء للآباء والهيبة التي يضفونها عليهم، بوقوفهم بين أيديهم، يقول: [1]

أراهُ واحـدًا لا أخـا لـه
يورِّثـه في الوارثـين الأباعِـدُ
فانـي عسى أن تبصريني كأنمـا
بنيَّ حواليَّ الأسودُ اللوابِـدُ
فإنَّ تميمـًا، قبلَ أن تلد الحصـى
أقام زماناً وهو في الناسِ واحِدُ

ويسجل ارطأة بن سهية أهمية الأبناء، وحاجة الآباء اليهم والى دعمهم، في لومه لعقيل بن علفة المري، على تنفيره لأبنائه، وانفضاضهم عنه، حتى هان لدى الآخرين وصار عرضة للمعتدين، يقول: [2]

أكلت بنيك أكـل الضَبِّ حتـى
وجدت مرارة الكـلأ الوبيـل
ولو كان الألى غابوا شهـودا
منعت فنـاء بيتك مـن بجيل

والابن عند علي بن ثابت هو الخليل والسكن وخالص الأحباب، وحين فقده فقد بذهابه كل جميل وصديق، ولم يبق له سوى أعداء شامتين، لا يحمد جوارهم، يقول: [3]

يا كذب الله مـن نعى حسنا
ليس لتكذيب نعيـه ثمـن
اجـول في الدار لا اراك وفي الدا
ر انـاس جوارهـم غـبن
كنت خليلـي وكنت خالصـتي
لكـل حي مـن أهلـه سكن
بدلتهم منك ليت أنهـم
امسوا وبينـي وبينهم عدن

ولولا الصبر الذي أمر به الدين لما استطاع عبدالملك بن مروان التغلب على حزنه الدفين لفقد ولده مروان.

---

١ — «عيون الأخبار» لابن قتيبة: ٤/١٢٢ — دار الكتب المصرية ط ١٣٤٣هـ.
٢ — «مختار الاغاني» لابن منظور: ٥/١٢٠ — عيسى البابي الحلبي ط ١٣٨٥هـ.
٣ — «التعازي والمراثي» للمبرد: ٢٠٢ — مطبعة زيد بن ثابت بدمشق ١٣٩٦هـ.

في رده على بعض بني عمومته كتب يقول: [٤]

كتبت تسأل عن صبري لتعلمه
على الرزية بالمأمول مروان
فقد صبرت بعون الله محتسبا
لموعد الله من فوز ورضوان
ولو جزيت ولم اصبر لفرقته
ما كان في فقده منهاة أحزاني

ولعل أحرج المواقف في علاقة الأبوة هذا الموقف الذي يصور فيه جعفر بن علباء قلقه وهلعه، حينما علم باقتراب تنفيذ القصاص في ابنه يقول في ذلك مصورا همومه الثقيلة ومخاوفه المروِّعة:

لعمرك ان الليل يا أم خالد
عليَّ وان عللتني لطويل
أحاذر انباء من القوم قد دنت
وأوبة انقاض لهن دليل
لعمرك إن ابني غداة تقوده
عقيل لنائي الناصرين ذليل

ويقول راوي الأبيات في تصوير احزان هذا الأب لمقتل ولده: ولما قتل قام نساء الحي يبكين عليه، وقام أبوه الى ناقة وشاة فنحر أولادها والقاها بين يديها وقال ابكين معنا أبا جعفر، فما زالت النوق تثغوا، والنساء يصحن ويبكين وهو يبكي معهن، فما ريء يوم كان أوجع ولا مأتما أكثر حزنا في العرب من يومئذ. [٥]

ولقد تأثر هدبة بن الخشرم بموقف ابويه عندما أخذ ليقام عليه حد القصاص فرآهما يبكيان عليه بمرارة وأسىً، فقال يصبرهما بمثل ما صبر، ويهون عليهما أمر الموت، وما وراءه من مستقر في الدار الآخرة، يقول: [٦]

أبلياني اليوم صبرا منكما
أنّ حزنا منكما عاجل ضر
لا أرى ذا الموت الا هينا
أن بعد الموت دار المستقر
اصبرا اليوم فاني صابر
كل حي لفناء وقدر

٤ — المصدر السابق: ١٤٣.
٥ — «ايام العرب» لجاد المولى وآخرين: ٨٩/١ — دار احياء الكتب العربي بمصر.
٦ — «المعتالين» لمحمد بن حبيب: ٢٦١ — مكتبة الخانجي بالقاهرة.

وقد سجل الشعر الاسلامي ما يثبت تفوق علاقة الأبوة على علاقة الزوجية وارتفاع قدر أبناء الآباء، فقد روي أن عمرا ابن شاس كان له ابن يقال له (عرار) من أمة سوداء، وكانت امرأة عمرو «ام حسان بن الحارث» تؤذيه وتستخف به لسواده، فيرد عليها ويشتمها، فضاق عمرو بذلك وخيرها بين أمرين، إما أن تعامل الولد بالحسنى ابقاء على مودة زوجها لها، وإما أن ترحل عن داره الى أهلها بلا تريث. ويقول في ذلك مصورا تحمله عليها ونفاذ صبره من سوء سلوكها مع ابنه الذي يحبه بكل ما فيه من سواد وشدة وشكيمة: [٧]

ألم يأتها أني صَموتٌ وأنني
تحلّمت حتى ما اعارم من عرم
وأطرقت إطراق الشجاع ولو رأى
مساغا لنابيه الشجاع لقد أزم
فإن عرارا ان يكن غير واضح
فاني احب الجون ذا المنكب العمم
وإن عرارا ان يكن ذا شكيمة
تقاسيتها منه فما املك الشيم
اردت عرارا بالهوان ومن يرد
عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
فان كنت مني أو تريدين صحبتي
فكوني له كالسمن رب له الأدم
والا فسيري مثل سار راكب
تيمّم خمسا ليس في سيره أمم

وصوَّر الشاعر في هذا العصر عاطفة الأبوة تصويرا جميلا رائعا، ينم عن رقيق الشعور وغزارة الاحساس، ويجمع جرير في تصويره لهذه العاطفة بين معاني الود والحنان والرضا والاعجاب، حين يقول في ابنه «بلال» من زوجه الفارسية الأصل: [٨]

إنَّ بلالاً لم تشنه أمَّه
لم يتناسب خاله وعمه
يشفي الصداع ريحه وشمه
ويذهب الهموم عني ضمه
كأن ريح المسك مستحمه
ما ينبغي للمسلمين ذمه
يمضي الأمور وهو سام همه
بحر بحور واسع مجمه

٧ — «الأمالي» للقالي: ١٨٩/٢ — دار الكتب ط ١٣٤٤ — الشجاع: الافعى.
٨ — «ديوان جرير»: ٥٣٣.

يفرِّج الأمـر ولا يغمـه
فنفسه نفسي وسمي سمه

ولـم ينس الأب في العصر الاسلامي دوره التربوي في توجيه الأبناء الى ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم فتراه يفضي لبنيه بصادق نصحه وخالص تجربته وجماع رأيه. فهذا «عبدة بن الطبيب»، يوصي ابناءه بجملة من الوصايا المستمدة من الاسلام، كتقوى الله، وبر الوالدين، والحذر من النمام الذي يبث الضغائن في النفوس، ونراه يُعْنَى بكشف حقيقته وزيف صداقته ليكونوا يقظين من خداعه وشره، يقول: (٩)

أوصيكمُ تقوى الإلـه فانـه
يُعطي الرغائب مـن يشاء ويمنع
وببر والدكـم وطاعـة أمره
ان الأبـرَّ من البنـين الاطـوع
واعصوا الذي يُزْدي النصيحة بينكـم
متنصحـا وهو السّمـام المنقـع
تزجـى عقاربـه لتبعث بينكـم
حربا كمـا بعث العروق الاخـدع
حـران لا يشفـي غليل فـؤاده
عسل بمـاء في الغليل مشعشع
لا تأمنـوا قومًا يشب صبيهـم
بين القوابـل بالعـدواة ينشع
ان الذين ترونهـم خلانكـم
يشفي صُداع رؤوسهـم ان تصرعـوا
فضلت عدواتهـم على احلامهـم
وأبت ضِباب صدورهـم لا تنزع

ويوصي عبدالملك بن مروان أبناءه بالاعتصام الدائم بحبل الاخوة، ويدعوهم الى التواد والتواصل والتراحم ونبذ الشقاق والضغائن ورعاية الأوامر، ويشير الى قيمة الألفة والتعاضد في حياتهم ومستقبلهم، يقول: (١٠)

أنفـوا الضغائن عنكـم وعليكـم
عند المغيب وفي حضـور المشهد
فصلاح ذات البين طـول بقائكـم
ان مـد في عمري وان لـم يمـدد
فلمثل ريب الدهـر الف بينكـم
بتواصـل وتراحـم وتـودد
حتى تلين جلودكـم وقلوبكـم
بمسود منكم وغير مسود
ان القـداح اذا اجتمعن فرامهـا
بالكسر ذو خنق وبطش باليـد
عزت فلـم تكسر وان هـي بـددت
فالوهن والتكسير للمتبـدد

وقـد حمد الشعراء لأبنائهم برَّهم بهم في كبرهم، ووفاءهم لهم في شيخوختهم. ويعبر أبو الشغب العبسي عن حبه لولده «رباط» واعجابه بأخلاقه وحسن عشرته ولين جانبه، وأدبه في خطابه، وحدبه عليه في شيخوخته، يقول: (١١)

رأيت «رباطا» حين تـم شبابـه
وولـى شبابي ليس في بره عتب
اذا كان اولاد الرجـال حـزازة
فأنت الحلال الحلو والبارد العذب
لنا جانب منـه دميث وجانب
اذا رامه الاعـداء ممتنع صعب
يخبرنـي عمـا سألت بهيـن
من القول لاجا في الكلام ولا لغب

ومثل «رباط» في البر بوالده «يزيد بن أعشى سليم»، فقد وضع نفسه تحت تصرف والده الشيخ، وعكف على خدمته ورعايته، وصار يغدو ويروح في حوائجه، لا يثنيه برد الشتاء ولا متاعب الأسفار، وقد صور «أعشى» ذلك عندما غاب ابنه في بعض حوائجه، فأنشأ يقول مترجما حبه له وشوقه اليه، ومنوها ببره وقيامه على شؤونه حتى صار الابن أبا له: (١٢)

الا يا سمية شبي الوقـودا
لعل الليالـي تؤدي يزيـدا
فنفسي فداؤك مـن غائب
اذا ما المسارح كانت جليـدا
كفانـي الذي كنت أسعى لـه
فصار ابا لي وصرت الوليـدا

وثمة أبناء لم يكونوا على هذه الشاكلة من البر بآبائهم،

٩ — «الصداقة والصديق»: ١٩٧، ٣٩٧.
١٠ — «عيون الأخبار»: ١٢٤/٢.
١١ — «بهجة المجالس» لابن عبدالبر: ٧٧٢/١ — الدار المصرية للتأليف والنشر.
١٢ — «الكامل» للمبرد: ٢٥٧/١ — دار نهضة مصر.

والعطف عليهم، والقيام على شؤونهم، الامر الذي حمل آباءهم على معاتبتهم لهم، عتابا نراه يرق حينا ويشتد حينا آخر، ويجمع بين الشوق والشكوى في بعض الأحوال، وبين اللوم والتأنيب في أحوال أخرى فالشاعر «أمية بن الأسكر» هاجر ابنه «كلاب» الى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فأقام هناك مدة، ثم لقي طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام فسألهما: أي الأعمال أفضل في الاسلام؟ فقالا له: الجهاد، فسأل عمر ان يغزيه، فأجابه الى ذلك، وكان ابواه قد كبرا وضعفا، فلما طالت غيبته عليهما، عاتبه بقصيدة رقيقة بدأها بالاعذار الى نفسه في الجزع لفراق «كلاب»، فذكر أنه لم يبلغ مأربه منه، وان كلابا لم يؤد حقه له، واثنى على رجولته، وعاتبه على قسوته عليه وعدم مبالاته بعواطف الأبوة، وذكره بموضعه منه، وحدبه عليه واشفاقه يوم كان صغيرا يدرج في حجره فيحتضنه ويعانقه ويغمره بالحنان والعطف، وانتهى بتهديد الخليفة ان يستعدي الله عليه، ويسأله الانتقام منه ان هو لم يردد «كلابا» عليه، ويا لها من دعوة ثقيلة على صدر عمر، يقول:

اعاذل قد عذلت بغير قدر
وما تدرين عاذل ما الاقي
فاما كنت عاذلتي فردي
«كلابا» اذ توجه للعراق
ولم أقض اللبانة من «كلاب»
غداة غدا واذن بالفراق
فتى الفتيان في عسر ويسر
شديد الركن في يوم التلاقي
فلا والله ما باليت وجدي
ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وابقائي عليك اذا شأونا
وضمك تحت نحري واعتناقي
فلو فلق الفؤاد حطام وجد
لهمّ سواد قلبي بانفلاق
سأستعدي على الفاروق ربا
له دفع الحجيج الى سياق
ان الفاروق لم يردد «كلابا»
الى شيخين هامهما زواقي

وما ان سمع عمر هذه القصيدة حتى كتب الى سعد بن أبي وقاص يأمره بعودة «كلاب»، فلما قدم أرسل عمر الى أبيه فقال: أي شيء أحب اليك؟ قال النظر الى «كلاب»، فدعا به فلما رآه اعتنقه وبكى بكاء شديدا، فبكى عمر وقال: يا «كلاب» الزم أباك وأمك ما بقيا[١٣]. ويشكو المخبل السعدي من فراق ابنه «شيبان» حين خرج مع سعد بن أبي وقاص في حرب فارس، ويصفه بالعقوق لخروجه عنه من غير اكتراث بحاله، وما هو عليه من ضعف ظاهر بدا في تقوس ظهره وتتابع خطوه ودبيب مشيه، كما بدا في ضعف بصره الذي زاده اغتراب الابن سوءاً حتى صار يرى الشخص القريب منه شخصين. ثم يذكر الشاعر ولده بلمسة من لمسات الأبوة، عندما كان كل ليلة يؤثره بشراب الغبوق ويخصه بلبن العشية على حبه له وحاجته اليه، يقول:[١٤]

أيهلكني «شيبان» في كل ليلة
لقلبيَ من خوف الفراق وجيب
ويخبرني «شيبان» أن لم يعقني
تعق اذا فارقتني وتحوب
فان يك غصني اصبح اليوم ذاويا
وغصنك من ماء الشباب رطيب
فاني حنت ظهري خطوب تتابعت
فمشي ضعيف في الرجال دبيب
اذا قال صحبي يا ربيع الا ترى
أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
اشيبان ما ادراك ان كل ليلة
غبقتك فيها والغبوق حبيب

ولا يخفى ما في الاستفهام الأول والأخير من تصوير لتعلق الشاعر بابنه واشفاقه عليه. ويعاتب حكيم بن قصيبة الضبي ابنه «بشر» على هجرته عنه من البادية الى المدينة، فيصفه بخيانته له في الساعة التي هو فيها أحوج ما يكون اليه. ثم يذكر أن نزوحه عنه لا يستند الى سبب شرعي وعذر مقبول، فلو خرج ابتغاء مرضاة الله ودخول جنته كطلب الجهاد أو التماس الرزق لعذره في ذلك، ولكنه خرج من أجل الرفه والتنعم بأطعمة المدينة التي لا يفضلها أهل البادية على ألبان الابل الكثيرة، يقول:[١٥]

لعمر ابي بشر لقد خانه بشر
على ساعة فيها الى صاحب فقر
فما جنة الفردوس هاجرت تبتغي
ولكن دعاك الخبز احسب والتمر

١٣ — «مختار الاغاني»: ٤٦٣/١.
١٤ — «الاغاني»: ٤٧٠٢/١٣ (دار الشعب).
١٥ — «حماسة ابي تمام»: ٣٦٠/٢ — مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة.

اقرص تصلى ظهـره نبطيـة
بتنورهـا حتى يطير له قشر
احب اليك ام لقـاح كثيرة
معطفة فيهـا الجليلـة والبكـر

وشكا «منازل بن فرغان» عقوق ابنه «خليج» وانتزاعه ماله من بين يديه العاجزين وتسلطه عليه بعد أن وهن عظمه وارجع الأب سبب عقوق ابنه الى أمه المنسوبة لبني حرام، مستغلا هذه التسمية ودلالتها الشرعية في تفسير عقوق ولده له، يقول: [١٦]

تظلمني مالـي «خليج» وعقني
على حين كانت كالحني عظامـي
وكيف أرجّي العطف منه وأمـه
حرامية مـا غرني بحـرام
تخيرتها وازددتهـا ليزيدنـي
وما بعض ما يزداد غير غـرام
وجاء بعـول من حرام كأنما
يسعّر في بيتي حريق ضـرام
لعمري لقـد ربّيته فرحـا به
فلا يفرحن بعدي أب بغـلام

كما شكا الفرزدق في شيخوخته من عقوق ابنه «لبطة» وتجبره عليه بشبابه وقوته. وعزا سبب العقوق الى تأثير زوجه عليه، وإصاخته لها وضعفه امامها مكنيا عنها بكناية طريفة، يقول: [١٧]

أان رعشت كفا ابيك واصبحـت
يداك يدي ليث فانك حاربـه
اذا غلب ابن بالشباب ابا له
كبيرا فان الله لا بد غالبه
ولما رآني قد كبرت وانه
اخو الحي واستغنى عن المسح شاربه
اصاخ لعربات النجـي وانـه
لأزور عن بعض المقالة جانبـه

وقد عاتب بعض الأبناء آباءهم، ومن هؤلاء «الأغر بن السليك العجلي» الذي أخذ على ابيه تكلف المودة له، ومضايقته له بمصادقة اعدائه وصارحه في عتابه بكل ما يزعجه من تصرفاته، ودعاه الى مواصلته وحسن معاملته له، يقول: [١٨]

ابلغ ابي عني على النأي انـه
هو المرء ارجو بره واعاتبـه
بأنك ذو سن ولب مجـرب
وقد ينفع المرء اللبيب تجاربـه
وقد كان في بضع وتسعين حجـة
تمليتها عيش كثير عجائبـه
ثراء واقتار وبـؤس ونعمـة
وأي زمان لا تحـول مراكبـه
اراني اذا عاديت قوما وددتهم
وتنأى بود القلب ممن أقاربـه
ويأتيك ودي وهو سهل وقد أبى
فؤادك الا النأي ما لم تغالبه
فلا تيأسنًّ بالهوان ارادة
لتحلى مما قد امرت مشاربه
أَطيعُ عشيري ما اراد كرامتي
واعصيه فيما ساءني واجانبه
فصلني فاني من جناحك منكب
وما خير ريش بان منه مناكبه

وهكذا نجد الشعر في العصر الاسلامي «صدر الاسلام وبني أمية» يوقفنا على علاقة الآباء بأبنائهم، وهي علاقة نستطيع أن نصفها، في الجملة، بالقوة والمتانة على الرغم مما تخللتها من مكدرات، مثلتها تلك المعاتبات العديدة التي وجهها الشعراء الى أبنائهم، والتي بدت في صدر الاسلام رقيقة لينة، واخذت تميل الى الشدة والخشونة في العصر الاموي، ولا غرو في أن تكون علاقة الابوة على هذا النحو من القوة، فقد رأينا من هؤلاء الآباء من صار يضرب به المثل، كعبدالله بن عمر، الذي اشتهر بحبه الشديد لابنه «سالم»، وفيه يقول:

يديرونني عن سالم واديرهـم
وجلدة بين العين والأنف «سالم»

وكان يكلف به، ويقبله وهو شيخ، ويقول: شيخ يقبل شيخا، وعن أبي العباس بن محمد بن يزيد قلت للعتبي: كنت أحب أن اعرف موقعي من قلبك قال: موقع سالم. ويشير عبدالملك بن مروان الى قول عبدالله في ابنه «سالم»، فيما كتب به الى الحجاج فيقول: اما بعد فانك سالم، والسلام.[١٩] □

١٦ — «العققة والبررة» لابي عبيدة: ٣٦٢ — مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٧ — المصدر السابق: ٣٥٦.

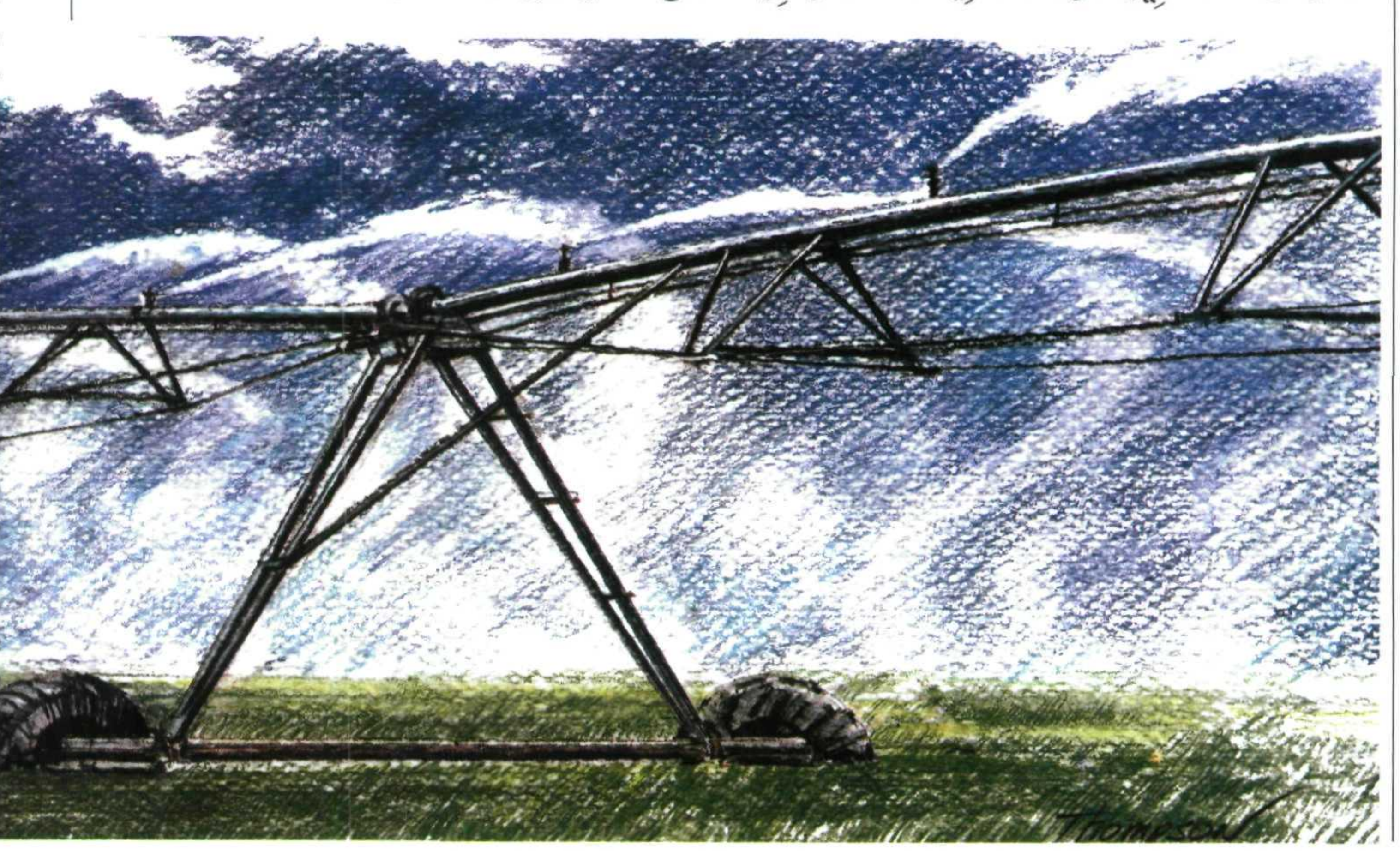
١٨ — «المؤتلف والمختلف» للآمدي: ٤٩ — دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٨١.

١٩ — «ربيع الأبرار» للزمخشري: ٤٥٩/١ مطبعة العاني ببغداد.

القطاع الزّراعيّ ودوْره في التنميَة الاقتصَادِيَّة

علي حسن المرهون / هيئة التحرير

« اكتشف خبراء التنمية الاقتصاديّة في العالم الثّالث منذ السّبعينات من هذا القرن وبعد المعاناة والاخفاقات المكلّفة اقتصاديًا واجتماعيًا في كثير من تجارب الإنماء الاقتصادي في الدّول النّامية ، أن الاقتصاد الرّيفي بشكل عام والقطاع الزّراعي بشكل خاص ، هما الحجر الأساسي للتنمية الاقتصاديّة، وانّ الزراعة تضطلع بدور فعال في أية استراتيجيّة تنمويّة شاملة ، وبدونها يصبح النّمو الصّناعي مضطربًا إن لم يكن فاشلاً . ولعل العجز الرهيب الذي تعاني منه الدّول النّامية في ميزان مدفوعاتها لاستيراد المواد الغذائية الأساسيّة من الخارج ، مايعزّز صحّة ذلك » .



النظرية التقليدية

كانت النظرية التقليدية، في مجال الفكر التنموي الاقتصادي، تعتبر الزراعة عاملا مساعدا ومساندا في احداث التنمية الاقتصادية المنشودة، التي تسعى اليها دول العالم الثالث. وذلك استنادا للتجربة التاريخية التي مرت بها الدول الغربية. وكان يعتقد بأن التنمية تتطلب احداث تغييرات هيكلية في الاقتصاد ليتحول من النشاطات الزراعية، الى مجتمع تزدهر فيه الصناعات والخدمات الاساسية وينظر للقطاع الزراعي على أساس أن دوره الأول يتركز على توفير الغذاء الكافي وبأسعار مناسبة، وفي توفير اليد العاملة للعمل في القطاع الصناعي، الذي كان ينظر اليه انه الجانب الأكثر حيوية في النمو الاقتصادي بصفته القطاع الاقتصادي الرائد.

وهكذا كانت هذه النظرية، تتركز على نموذج اقتصادي يتكون من محورين: الأول يرتكز اساسا على التصنيع السريع، مع قطاع زراعي مساند، لتغذية التوسع الصناعي عن طريق توفير الاغذية بأسعار مناسبة للعاملين في هذا القطاع، والثاني توريد العمالة الفائضة.

تجربة السبعينات

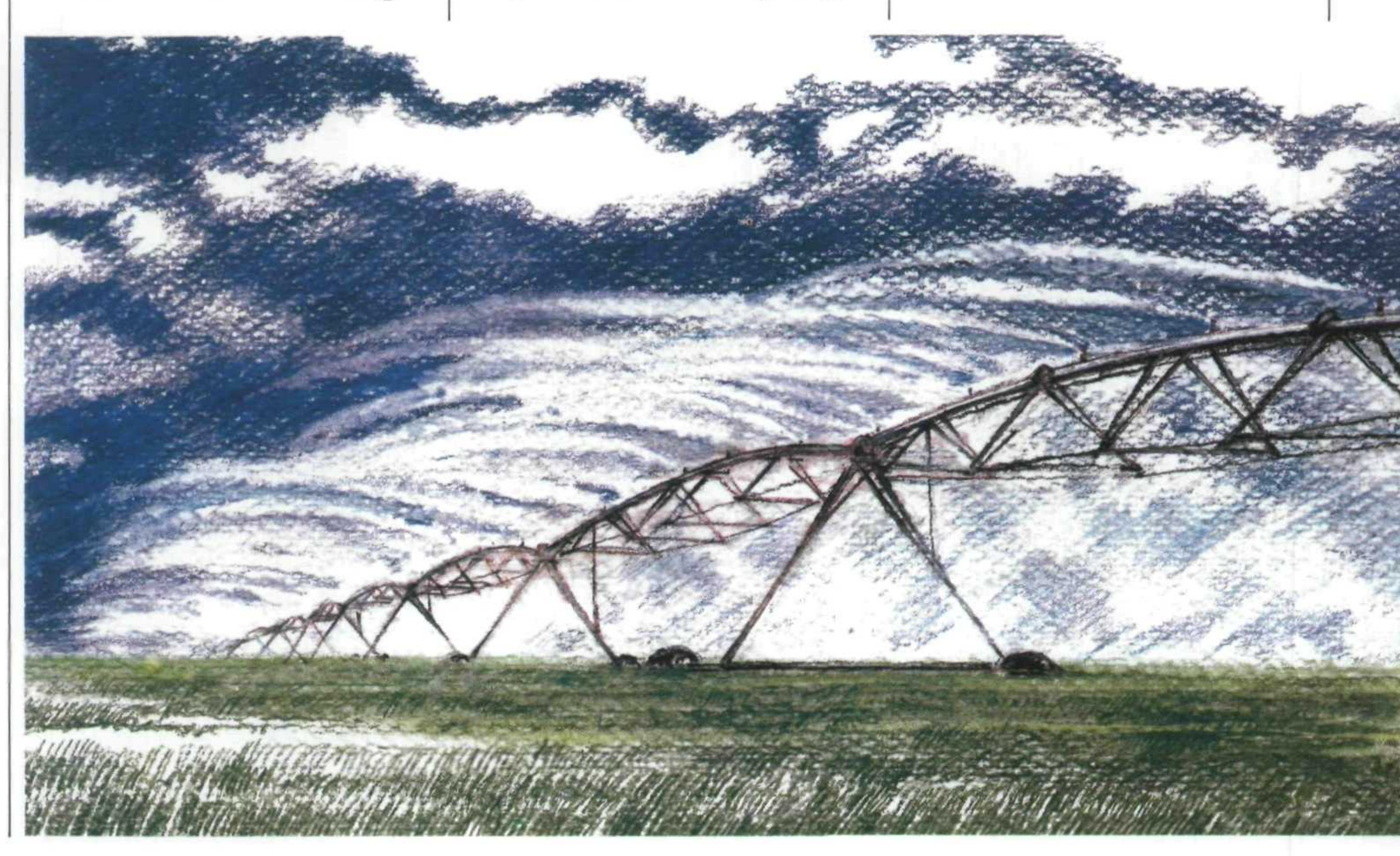
لقد تغيرت هذه النظرة كلية في السبعينات. وشهد الفكر الاقتصادي التنموي تغيرا جذريا في التفكير وأساليب العمل. وكان سبب ذلك فشل النظرية التقليدية في احداث التنمية الاقتصادية المنشودة في كثير من دول العالم الثالث، وقد كانت هذه التجارب مكلفة على جميع الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. وادى تطبيقها الى احداث خلل في هذه المجتمعات، التي لم تستطع تحقيق حلمها في أن تصبح مجتمعات صناعية، وفي الوقت نفسه، تدهورت أوضاعها الزراعية وهجر الريفيون قراهم، وتمركزوا في المدن الكبيرة، وعجزت هذه الدول حتى عن توفير الغذاء للسكان، وأخذت شعوبها تواجه خطر المجاعة. والذي بات اليوم يحوم حول كثير من بلدان أفريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية نتيجة لتبنيها اتجاهات ومخططات خاطئة.

وعندها ادرك المسؤولون واقتصاديو التنمية أن الاقتصاد الريفي بشكل عام والقطاع الزراعي بشكل خاص، هما الحجر الاساسي للتنمية، وان دور الزراعة ليس مساندا فقط، كما كان ينظر اليها سابقا، بل ان الاقتصاد الزراعي يضطلع بدور حيوي في اية استراتيجية تنموية شاملة، على الأقل، بالنسبة للسواد الأعظم من دول العالم الثالث.

وتجدر الاشارة في هذا الصدد الى أن معظم الدول النامية، قد حققت معدلات محترمة من النمو في الانتاج القومي الاجمالي في الستينات، وقد تحققت النسبة الكبرى في النمو في القطاعين الصناعي والتجاري، حيث كانت نسبة النمو تزيد على ١٠ في المائة، وعلى النقيض من ذلك بقيت معدلات نمو القطاع الزراعي راكدة، مما ادى الى انخفاض نسبة اسهام القطاع الزراعي في حقل الانتاج الوطني الاجمالي. فعلى الرغم من أن الزراعة تستوعب معظم سوق العمالة في دول العالم الثالث، فإن نسبة اسهامها في الانتاج القومي الاجمالي منخفضة جدا. وذلك بعكس التجربة التاريخية للدول الغربية، حيث كانت نسبة اسهام انتاجها الزراعي، الى انتاجها الاجمالي، تساوي نسبة اسهام الأيدي العاملة في هذه النشاطات في بداية مراحل نموها الاقتصادي. بينما تبلغ نسبة اليد العاملة في القطاع الزراعي بدول العالم الثالث، ضعفي نسبة اسهام الانتاج الزراعي في الانتاج الكلي. وهذا يعكس المستويات المنخفضة للانتاجية الزراعية للعامل الواحد، مقارنة مع القطاعين الصناعي والتجاري.

الزراعة في الدول النامية

ان نظرة عامة الى الاوضاع الزراعية في العالم، تكشف عن عالمين مختلفين، الأول العالم الصناعي حيث تسود الزراعة المتخصصة ذات الانتاج التجاري الكبير، وتحتل فيه التقنية والأبحاث العلمية المكانة العليا، مما مكن هذا القطاع من تلبية الاحتياجات الغذائية المتنوعة لهذه الأمم، بأقل عدد ممكن من الأيدي العاملة. أما العالم الثاني فهو الزراعي المنخفض الانتاجية ويوجد في معظم الدول النامية، حيث تسود المزارع العائلية التي تتبع أساليب زراعية بدائية. مثل الثور والمحراث الخشبي وغيرها، وهذه المزارع قلما تستطيع توفير الغذاء للفلاحين العاملين عليها. ناهيك



عن سكان المدن المكتظة، الذين تتزايد اعدادهم بصورة مطردة.

ان معظم دول العالم الثالث تتشابه في ظروفها المعيقة للتنمية الزراعية، ومن ذلك تخلف البنية الاجتماعية للسكان، وسيطرة العادات والأساليب التقليدية، التي تقف احيانا حجر عثرة امام تقدم الزراعة. وهذا يعني أن أية تغييرات في طرق الزراعة وأساليبها، تعني تغييرا في نمط حياة الفلاح نفسه، مما يتحتم على المخططين ملاحظة ردود الفعل الاجتماعية والانسانية، ودراسة الموروثات الثقافية. عند تطبيق أساليب جديدة في العمل الزراعي، ومدى تقبل الفلاحين لهذه الأساليب، وخاصة ما يتعلق منها بوسائل وعلاقات الانتاج، التي تغاير ما ورثه الفلاح عن أجداده.

مراحل التنمية الزراعية

يمكن اجمال عملية التنمية الزراعية في ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الزراعة المعيشية: وتتمثل في زراعة محصول واحد بغرض الاستهلاك المحلي فقط، ولا تحتاج الى رأسمال كبير، وتتميز بانخفاض معدلات الانتاج، ومحدودية الدخل وصغر الحيازة. ويكثر انتشار هذا النوع من الزراعة في الدول النامية ولا سيما في أرياف آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية.

الثانية: مرحلة الزراعة المختلطة: وتسود في هذه المرحلة زراعة عدة محاصيل مختلفة. بغرض طرح قسم منها في الأسواق واستهلاك القسم الآخر. ويستحوذ هذا النمط من الزراعة على اهتمامات مخططي التنمية الزراعية وذلك لملاءمتها للظروف السائدة في الدول النامية.

أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة الزراعة المتخصصة: وهي المرحلة المتطورة في الزراعة، وتتميز بالزراعة التجارية المتخصصة بانتاج محصول واحد كالقمح أو البرتقال أو غيرهما. وهي تحتل مساحات شاسعة، ويخصص جميع انتاجها للأسواق المحلية أو العالمية، وتحتاج الى استثمارات مالية ضخمة، وتعتمد هذه المرحلة الزراعية على مكننة جميع مراحل الانتاج الزراعي ابتداء من الحراثة والتشجير مرورا بأعمال الوقاية، وانتهاء بالحصاد، بحيث أصبحت التقنية وأبحاث المختبرات الزراعية، جزءا لا يتجزأ من متطلبات الحياة الزراعية اليومية في البلدان الصناعية المتقدمة، التي تحتكر عالميا انتاج المواد الغذائية وتجارتها.

انتاجية العامل الزراعي

ان الفجوة في انتاجية العامل الزراعي آخذة في الاتساع بين الجانبين، وخاصة في السنوات الأخيرة، اذ تزيد في الدول الصناعية بمقدار ١٣ مرة على ما هي في العالم الثالث بالنسبة للعامل الواحد. وهذه الفجوة سوف تتزايد لتصل الى نسبة ٤٠ الى ١ في السنوات القليلة القادمة. وللتدليل على الدور الذي تلعبه التقنية في هذه الفروقات في الانتاجية نسوق مثال... الحاصدة الزراعية التي تستطيع خلال ساعة واحدة القيام بمجهود نحو الف رجل يستخدمون الوسائل التقليدية في العمل الزراعي. ومما هو جدير بالذكر أن تزايد معدلات الانتاج الزراعي في العالم الصناعي. قد بدأ منذ منتصف القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي شهدت تقدما علميا وتقنيا، وخاصة على صعيد تهجين البذور وتحسين سلالات الحيوانات وغيرها مما أدى الى رفع مستوى انتاجية العامل الزراعي، وبالتالي الى الزيادة في عرض المواد الغذائية الرخيصة الثمن وجعلها في متناول الجميع وخاصة سكان المدن الذين كانوا يعملون في القطاع الصناعي، والذين لم يستهلك جل دخولهم، مما مكنهم من الادخار ومن ثم الاستثمار في المجالات الصناعية والتجارية. بالاضافة الى امداد القطاع الصناعي باعداد هائلة من المزارعين الذين استغني عن خدماتهم في القطاع الزراعي بسبب اللجوء الى استخدام الآلات. فعلى سبيل المثال.. ان اقل من ٦ في المائة من مجموع الأيدي العاملة الآن يعملون في القطاع الزراعي بالولايات المتحدة الامريكية مقابل ٧٠ في المائة كانوا يعملون في القطاع نفسه في بداية القرن التاسع عشر. وفي عام ١٨٢٠م، كان المزارع الامريكي ينتج أربعة أضعاف ما



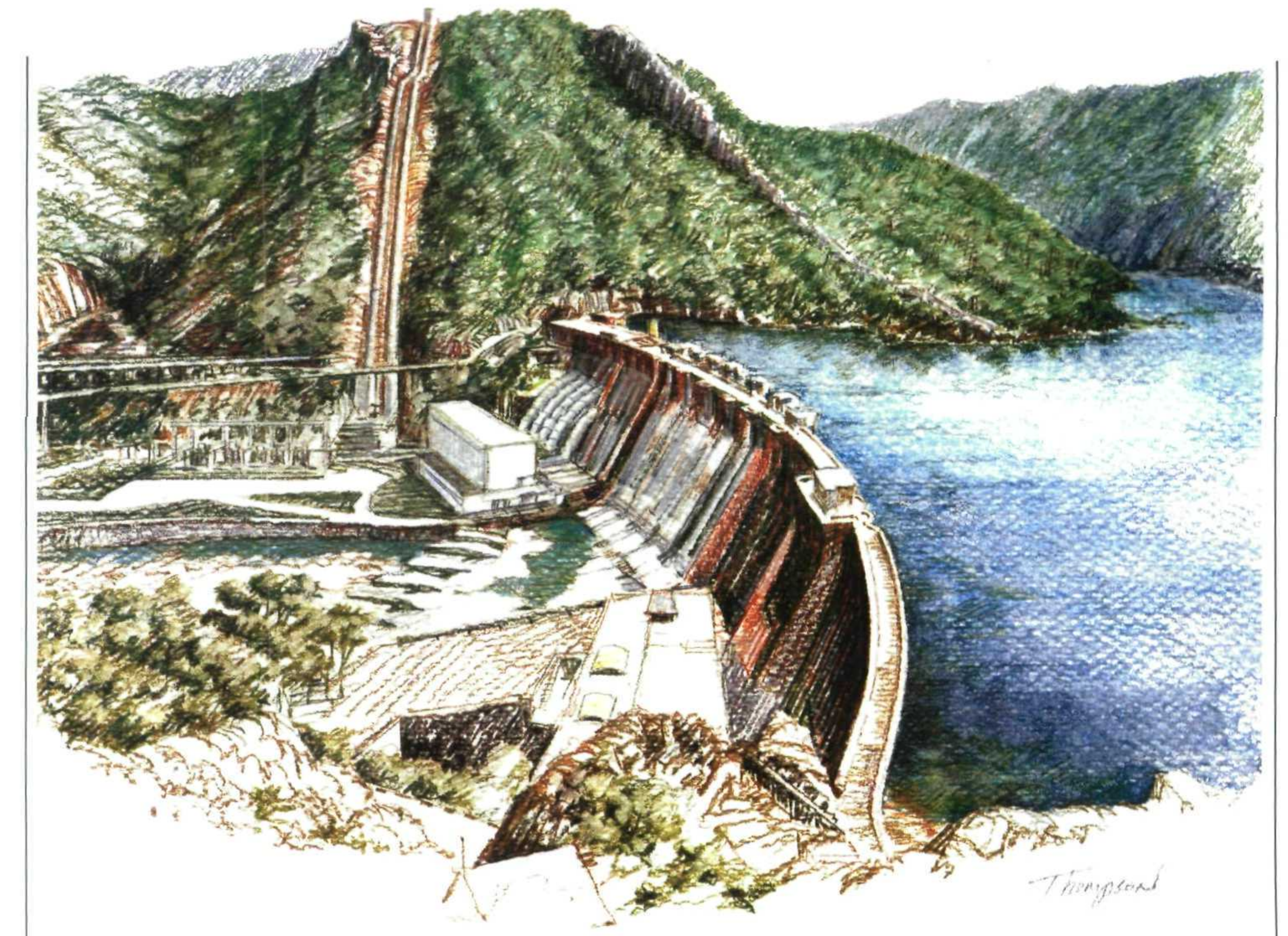


يستهلكه، وبعد مائة عام أي في سنة ١٩٢٠م، صار ينتج ثمانية أضعاف ما يستهلكه وفي عام ١٩٧٤م، كان المزارع الامريكي الذي هو أقرب الى رجل الأعمال حاليا، قادرا على توفير الطعام لأكثر من ٦٥ شخصا.

التَنمية عَملية متَعَددة الجوانب

عملية التنمية الاقتصادية هي عملية الانتقال من الوضع الاجتماعي النامي الى الوضع الاجتماعي المتقدم، وتقتضي هذه العملية اجراء تغيير جذري في أساليب الانتاج، وفي البنية الثقافية للمزارع لتتلاءم مع هذه الأساليب الانتاجية. ذلك أن التنمية الاقتصادية كما هو مُسَلَّم به الآن بعد خوض التجارب المكلفة في كثير من دول العالم الثالث هي عملية متعددة الأبعاد سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. والزيادة في متوسط دخل الفرد وحدها لا تكفي لاحداث هذه التنمية الاقتصادية، اذ لا بد من الأخذ في الاعتبار أن هذا المؤشر الكمي لا بد وان يصاحبه تغير كيفي، يتمثل في تطوير أساليب الانتاج. ولعل تخلف هذه الاساليب مرتبط بعوامل اساسية يعبر عنها، بالاختلالات الهيكلية، ولا يمكن القول بأن الاقتصاد قد دخل فعلا مرحلة التنمية الاقتصادية الا اذا اصبحت هذه التنمية نمطا طبيعيا لهذا المجتمع، أي لا بد وان تتوافر فيه مقومات النمو الذاتي المستمر المتمثلة في مرحلة الانطلاق.

وقد شبه بعض الاقتصاديين مرحلة الانطلاق تلك بانطلاق الطائرة. فاذا كانت الطائرة تحتاج لانطلاقها من الأرض الى الفضاء حدا أدنى من السرعة، فان عملية التنمية تحتاج أيضا الى حد أدنى من الموارد أو من الجهد الانمائي ليتسنى للاقتصاد دخول مرحلة



الانطلاق أو مرحلة النمو السريع. وهذه السرعة اللازمة للانطلاق في رأي الاقتصادي «روستو» صاحب نظرية مراحل التنمية، هي ارتفاع معدل الاستثمار الى ١٢٪ من الناتج القومي. وتشير خبرة العالم الثالث في السنوات الأخيرة الى أن الارتفاع في معدل الاستثمار دون توافر مقومات التنمية الأخرى لا يكفي لدفع الاقتصاد الى الامام. فهذا الأمر يتوقف على نمط وكيفية استخدام هذا الحجم من الاستثمار.

الاختلالات الهيكليـة

تتمثل عملية التنمية اساسا في تصحيح «الاختلالات الهيكلية» في أي اقتصاد ما. وكلمة «هيكل» تعني التوزيع النسبي للانتاج الكلي على الأنشطة المختلفة التي يتولد فيها هذا الناتج، اي القطاعات المختلفة المساهمة فيه وهي الزراعة والصناعة والخدمات الاساسية. كما أن توافر البيانات عن التوزيع النسبي للانتاج في دولة معينة على الانشطة المختلفة تمكننا من اصدار حكم موضوعي على طبيعة الهيكل الانتاجي السائد او هيكل الصادرات أو هيكل الواردات... الخ. ويمكن تصحيح الاختلالات الهيكلية في دول العالم الثالث عن طريق التنمية الاقتصادية التي تعد التنمية الزراعية حجرها الاساسي، والتي يجب ان يكون لها الاولوية في التخطيط الاقتصادي. كما أن تطوير القطاع الصناعي يلعب دورا هاما، بحيث لا يكون على حساب الزراعة، بل يجب أن يكون متناسقا ومتجاوبا مع القطاعات الأخرى. ويأتي تطوير الصناعات المرتبطة بالتنمية الريفية والزراعية على رأس القائمة، حيث يعتبر التصنيع الزراعي الذي يقوم على الصلة الوثيقة بين الزراعة والصناعة والمبني على المواد الزراعية الخام من العناصر الهامة في عملية التنمية الشاملة، ويمثل التصنيع المحلي للأسمدة والمبيدات والآلات الزراعية، الصناعات المساعدة أي (الرباط الخلفي) للقطاع الزراعي، بينما يمثل تصنيع وتجهيز اللحوم، ومنتجات الألبان، وحفظ الفواكه والخضر وتعليبها، وصناعة الزيوت، الصناعات المكملة أي (الرباط الأمامي للزراعة). وكذلك تلك الصناعات المرتبطة بانشاء البنى التحتية للاقتصاد الوطني، والصناعات الغذائية والصناعات الخفيفة، ثم الميكانيكية، وصولا الى مرحلة الصناعات الثقيلة. وتقتضي عملية التصنيع المتعددة رفع معدل التراكم الرأسمالي لتمويل الاستثمارات الصناعية، وهذا يعني زيادة الأهمية النسبية للقطاع الصناعي، ومن ثم تغير الهيكل الانتاجي من هيكل انتاجي زراعي اساسا الى هيكل انتاجي صناعي زراعي، ويترتب على ذلك تنويع مصادر الاقتصاد الوطني ومن ثم تقليل الآثار المترتبة على الاعتماد على منتوج واحد، وقد يؤدي التصنيع الى زيادة الأهمية النسبية للسلع الصناعية المصدرة التي قد يكون مصدر الكثير من دخولاتها من الزراعة وبالتالي يتم تصحيح اختلال هيكل الصادرات.

ان عملية الانماء الزراعي والتوسع الصناعي المرادف والمساند لها ديناميكية خاصة بخلاف الحال في قطاع الصادرات أو القطاع الاستخراجي، فهذا القطاعان يتمتعان بآثار جذب قوية يمارسانها على بقية اجزاء الاقتصاد نتيجة للارتباط المتبادل بين النشاطات الاقتصادية. فالاستثمار في صناعة معينة مثلا يوجِد فرصا للاستثمار في صناعة أخرى. كما يوجِدُ دخولا جديدة ويزيد من حجم الطلب الكلي، بالاضافة الى الآثار التي يمارسها توسع القطاع الصناعي على مستوى الانتاجية والمعرفة الفنية ومستوى المهارات، وبالتالي ازدياد مستوى المعرفة التقنية السائدة في المجتمع، مما يعزز من امكان ادخال التقنية في الزراعة مثل الحاصدات، الآلات، المعدات.. الخ.

فَعالية وحَيوية التنمية الزراعيـة

إن أهمية الزراعة لا تتمثل في مساهمتها في الانتاج الوطني فحسب، بل تمتد الى أبعد من ذلك، ففي المناطق الريفية حيث يعيش معظم السكان، نجد أن

نسبة كبيرة منهم تشتغل في الزراعة، هذا بالاضافة الى الأهمية الاستراتيجية لزيادة الانتاج المحلي من الغذاء للاعداد المتزايدة من السكان، كما أن التنمية الزراعية تؤدي ادوارا هامة أخرى من حيث توفير فرص العمل في نطاق القطاع الزراعي وفي الصناعات الزراعية المرتبطة به، وتسهم في تنويع القاعدة الاقتصادية والإقلال من الواردات، وفي الوقت نفسه، تؤدي التنمية الزراعية الى رفع مستويات الدخول وتحسين مستويات المعيشة في المناطق الريفية للسكان. ولهذا تأثير ايجابي على التوازن السكاني والمساعدة في الحد من الآثار الضارة لنزوح السكان الى المدن التي أصبحت ظاهرة خطيرة في كثير من دول العالم الثالث ولها آثار اجتماعية سلبية، فضلا عن الجوانب الهامة الأخرى للتنمية الزراعية في المحافظة على التوازن البيئي.

يمكن تلخيص العوامل التي تبين ضرورة تنمية القطاع الزراعي في الوقت الذي تتم فيه عملية التصنيع، فيما يلي:

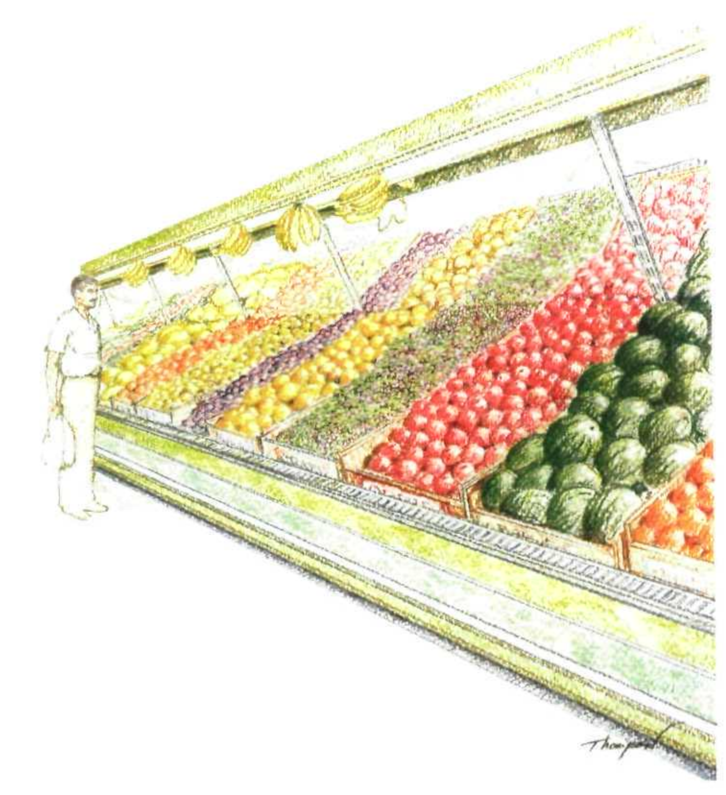
- في بداية عملية التنمية يكون القطاع الزراعي هو القطاع الأكثر أهمية نسبيا، حيث يلعب معدل نمو القطاع الزراعي الدور الرئيسي في تحديد معدل نمو الدخل القومي. وتتطلب هذه الحقيقة ضرورة رفع الانتاجية الزراعية لرفع معدل نمو الدخل الزراعي، ومن ثم معدل نمو الدخل القومي، بالاضافة الى أن معظم السكان، يقطنون الريف ويرتبطون بالعمل الزراعي، في دول العالم الثالث.
- يلعب القطاع الزراعي، الدور الرئيسي في تمويل عملية التنمية بصورة عامة والتنمية الصناعية بصورة خاصة. أي أن تمويل الصناعة تتوقف على حجم الفائض الزراعي الذي يستطيع هذا القطاع أن يولده ويجعله متاحا للزراعة، وخاصة في الدول التي لا يتوافر لديها فوائض مالية، نتيجة تصديرها لمصادر طبيعية.
- يعتبر القطاع الزراعي المصدر الرئيسي للقوة العاملة في القطاع الصناعي اذ تستمد الصناعة حاجتها من الأيدي العاملة من هذا القطاع. وهذا الأمر يتطلب رفع انتاجية القطاع الزراعي واعادة تنظيمه وتزويده بالآلات والخبرات الكيفية، حتى يمكن الاستغناء عن أكبر عدد من الأيدي العاملة.
- يمثل القطاع الزراعي في بداية عملية التصنيع السوق الرئيسية للمنتجات الصناعية. ومن ثم فان نمو القطاع الصناعي وتوسّعه يتوقفان على قدرة القطاع الزراعي على استيعاب المنتجات الصناعية.

فزيادة القدرة على الانتاج تعني زيادة القدرة على الشراء. فالتطورات التي طرأت على قطاع الزراعة الاوربية، وما ترتب عليها من ايجاد وتوفير السوق الداخلية كانت أحد العوامل الهامة التي مهدت لقيام الثورة الصناعية. ويشير «د. هويسبوم» الى أن أحد الأسباب الرئيسية التي أجلت نمو الثورة الصناعية في اوربا، يكمن في عدم نضج السوق المحلية للسلع الصناعية، نتيجة لطبيعة التنظيم الانتاجي السائد في القطاع الزراعي في القرنين السادس والسابع، وان تغير علاقات الانتاج داخل المزرعة والتحول من مرحلة الزراعة المعيشية الى مرحلة الزراعة التجارية، أحد العوامل في نضج السوق المحلية، اذ تكونت السوق للمنتجات الصناعية مما ساعد على دفع عجلة التصنيع في القرن الثامن عشر. فالثورة الصناعية في اوربا لم يكن ليكتب لها النجاح لو لم يسبقها وتمهد لها ثورة زراعية.

وهكذا يتبين لنا أن الشرط الأول لنجاح عملية النمو الصناعي يتوقف على تحقيق نمو مماثل في القطاع الزراعي، من شأنه رفع الانتاجية الزراعية حتى يكون القطاع الزراعي قادرا على مواجهة متطلبات التنمية الاقتصادية. وهذا يتطلب اجراء اعادة تنظيم القطاع الزراعي برمته لرفع الانتاجية الزراعية، ويتطلب ذلك زيادة مستوى الاستثمارات في الزراعة وبناء البنية التحتية لهذا القطاع.. مثل الطرق، والسدود، وقنوات الري والصرف، وانشاء محطات التجارب الزراعية للارشاد، واجراء اعمال البحوث والتطوير، وايجاد عنصر الفلاح المتعلم في معاهد تدريبية علمية ونظرية، وتطوير الصناعات التقليدية والحرفية المرتبطة بسكان الريف.

اما الشرط الثاني لنجاح التنمية الصناعية فيتمثل في ايجاد قاعدة عريضة من الرأسمال الاجتماعي، أو ما يعرف بالبنى التحتية، اللازمة لدفع عجلة التنمية، ويتمثل ذلك في اقامة شبكة حديثة للمواصلات، ومحطات توليد الكهرباء، ومد شبكات المياه والمجاري، وبناء المؤسسات التعليمية والورش التدريبية، وكذلك توفير الظروف المادية والمعيشية من مساكن ومراكز ثقافية ورياضية وغيرها. ويقدم رأس المال الاجتماعي منافع عامة للقطاعين الصناعي والزراعي يترتب عليها رفع مستوى الكفاءة الانتاجية للصناعة والزراعة وخفض نفقات الانتاج. وتتمثل هذه المنافع في ايجاد وفورات خارجية يولدها الرأسمال الاجتماعي للصناعة لتستفيد منها، مما يترتب عليه دفع عمليات الاستثمار في المشاريع الصناعية. وتتميز مشروعات «البنى التحتية» بظاهرة التكامل الناتجة





عن القدرة على عدم تجزئة عناصر الانتاج. فالاستثمار في مثل هذه المشاريع المتمثلة في محطات توليد الكهرباء وبناء السكك الحديدية اما أن يتحقق أو لا يتحقق، وذلك نتيجة لكبر حجم الحد الأدنى من هذه المشاريع والذي يعزى الى أن بعض هذه المشاريع لا بد من تزامنها حتى يمكن الاستفادة منها. فمشروعات توليد الكهرباء تحتاج الى محطات تقوية والى مد كابلات. والاستثمار في بناء السدود يحتاج الى بناء نظام للري والصرف... الخ.

التجربة اليابانية الزراعية

لقد أوحت التجارب الزراعية الناجحة في الغرب عموما الى واضعي خطط التنمية الاقتصادية في العالم الثالث، بأن تطبيق التجارب الأوربية الاقتصادية هو خير ضمان لنجاح العالم الثالث الاقتصادي. ويبدو هذا صحيحا من الناحية النظرية العامة ولكن يجب أخذ الفوارق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الخاصة بكل دولة ومجتمع بعين الاعتبار. وتأتي اليابان، الدولة الآسيوية الشرقية العريقة بالتاريخ والتقاليد، لتضرب لنا مثلا رائعا على نجاح اقتصادي قل نظيره، خارج العالم الغربي، ويرجع هذا النجاح الذي احرزته اليابان في مجال التصنيع في فترة التنمية الصناعية (١٨٧٠ — ١٩١٤م) الى الاهتمام الشديد بقضية التنمية الزراعية ورفع مستوى الانتاج الزراعي في الوقت الذي وجهت فيه الجهود لدفع حركة التصنيع. وقد حققت نجاحا منقطع النظير في مجال الزراعة والاكتفاء الغذائي، مع ملاحظة الظروف الطبوغرافية الصعبة للزراعة فيها اذ أن ٧٥٪ من اراضيها المحدودة المساحة يتكون من جبال وتضاريس صعبة. وتتلخص التجربة التي خاضتها اليابان، في أنه لم يكن بالمستطاع تمويل النهضة الصناعية الشاملة فيها، بدون زيادة الطاقة الانتاجية الزراعية. كما أن زيادة الناتج الزراعي فيها، قد اسهم في تقدم اليابان، عبر طرق أخرى، أهمها:

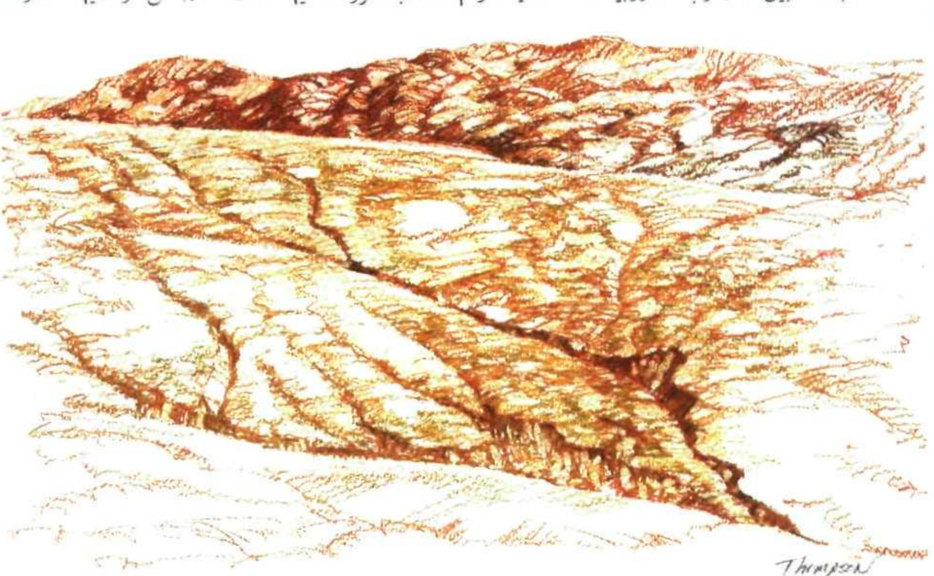
- الحد من استيراد المواد الغذائية من الخارج، مما وفر العملات الاجنبية لديها.
- خفض أسعار المواد الغذائية مما أدى الى الحد من الضغوط التضخمية، التي تصاحب عادة عملية التصنيع. وجعل معدلات أجور العمال أقل من الأرباح التي يحققها المستثمرون، مما أسهم في تطوير القطاع الصناعي، وتشجيع التصدير.
- اطلاق اعداد متزايدة من الأيدي العاملة الزراعية، للعمل في القطاع الصناعي، ورفد هذا القطاع بعناصر بشرية كافية.

كما تدل هذه التجربة الرائدة على ان الانفاق الحكومي على مشاريع البنى التحتية الزراعية مثل الأبحاث الزراعية، والخدمات التعليمية الزراعية، والقروض، والقنوات والطرق.. الخ. له آثار جمة وحاسمة في مستوى انتاج الفلاحين. كما أن الزراعة تتمتع بتأثيرات ديناميكية فعالة على بقية القطاعات الاقتصادية، من حيث توليد الطلب على السلع الصناعية لتلبية متطلبات التنمية الريفية والزراعية وتأثير الدخول التي يتقاضاها العمال الزراعيون على السلع المصنعة محليا.

مستقبل الزراعة في الوطن العربي

ان نجاح التنمية الزراعية العربية يستدعي تضافر الجهود، من أجل تخطيط زراعي طويل الأجل، آخذين بعين الاعتبار جوانب القوة والضعف الموجودة لدى الجميع، حيث العمالة الزراعية الفائضة في بلد، والاراضي القابلة للزراعة، في بلد آخر، والأموال اللازمة لتمويل المشاريع من بلد ثالث وهكذا. فمثل هذا الأمر يتطلب قيام سوق زراعية واحدة لضمان توفير الاغذية الاساسية للسكان، ولدرء المخاطر الكبرى التي تعترض «الأمن الاقتصادي» لمعظم الدول العربية، التي هي أكبر كتلة مستوردة للأغذية في العالم، مما يثقل ميزان مدفوعاتها.

ولعل نجاح تجربة زراعة القمح في المملكة العربية السعودية، والوصول الى مرحلة الاكتفاء الذاتي، ما يشجع على المضي في تعميم ثمار نجاح هذه التجربة على مستوى الاقطار العربية وكذا نجاح دول أخرى تشابه ظروفها ظروف العرب كالهند والصين في هذا المضمار ☐



المراجع

—"Economic Development in the Third World"
— Michael P. Todaro
—"Agriculture in Economic Development."
(Corl Eicher & Lawrence Witt)

«التنمية والتخطيط الاقتصادي» — الدكتور عمرو محيي الدين

رحيق الذكريات

شعر: د. أبو فراس النطافي / أبها

قالت «نسيتك بعد طول تداني   في زحمة الأصحاب والخِلّان

ايّاك ان تسعى اليّ تزورني   انّ الزيارة للحبيب الثّاني

فهجرت أزهار الحياة لأجلها   وتركت أحلامي على الشّطآن

ورجعت أدراجي بقلب نازف   أطوي الجراح ببردة النّسيان

لكنّه في كلّ حين يشتكي   غدر الحبيب، ولوعة الحرمان

فألومه ويلومني، ونظلّ في   ليل الأسى صنوين يشتكيان

وأبيك لا تحلو الحياة لخافق   يخلو من العبرات والأشجان

فالذكريات وان تركن مرارة   في النفس، أحلى خفقة بجناني

وأعزّ أيامي التي مرّت بنا   كانت مراح تنافر وتداني

نلهو ونمرح والطّبيعة حولنا   نشوى بكلّ مغرّد نشوان

وجآذر فتنت بأحْوَرَ فاتن   قلبَ المشوقِ، ومهجةَ الولْهان

وأزاهرٌ من كلّ لونٍ أشرقَتْ   فيها الحياةُ بديعةَ الألوان

حُللٌ مورّدة وعيش شائق   بين الأحبة والزمان أغاني

أتراكَ يا قلبي تبيع زمانها   —مهما كواك لهيبه— بزمان

أولا ترى المنثور حولك باسما   والأقحوانَ يرفّ في تحنان

والفلَّ والوردَ البهيَّ بحسنه   والياسمينَ، وباسِمَ الرّيْحان

والنرجسَ المفتونَ، والنسرينَ في   حلل الجمالِ، وورائعِ الألوان

والسوسنَ النادي، وغضَّ قرنفلٍ   وبنفسجٍ، وشقائقَ النعمان

أولا تشمّ مِن الأحبةِ نفحة   هبّت عليك نديّة الأردان

حملت اليك عبيرَها ورفيفَها   نفسٌ مولّهَةٌ، وقلبٌ عاني

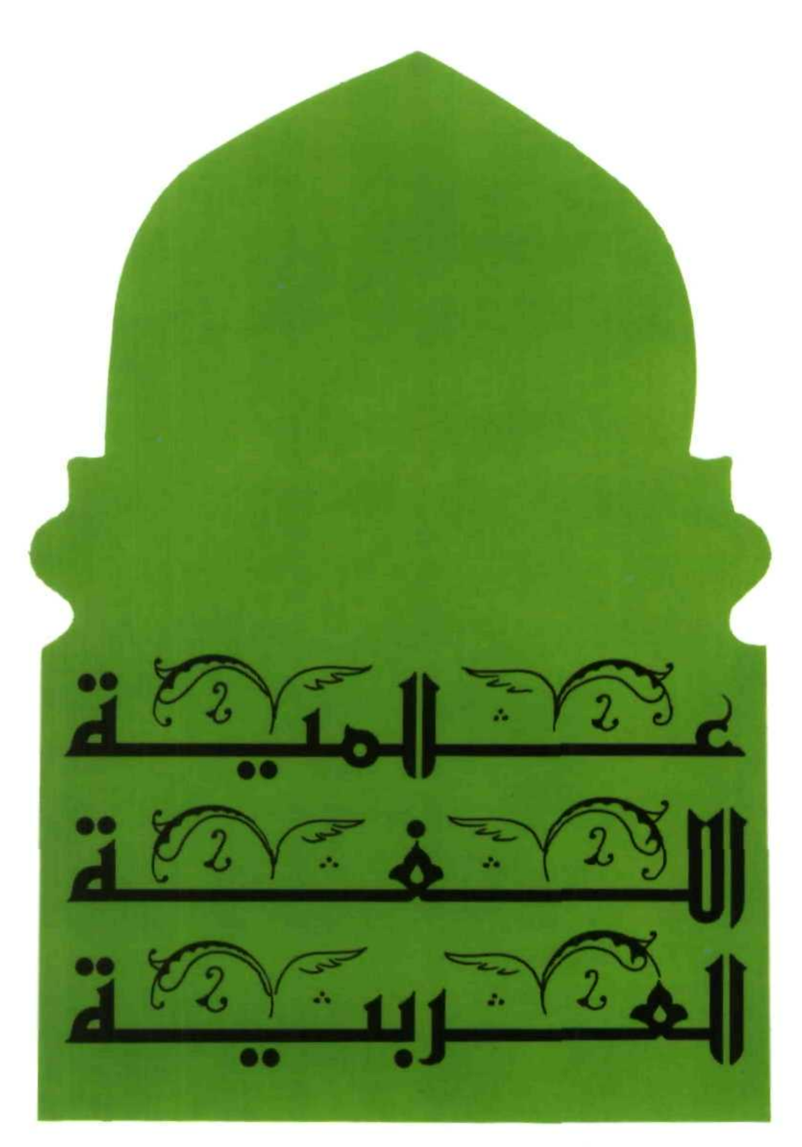
أوَلا تحِسُّ بنشوةٍ عذريّةٍ   تسري بنبضكِ كالنَّسيم الحاني

وبنَغْمات في شعورك رجّعت   همسَ الهوى في ذابلِ الأجفان

لا تخْفِ يا قلبي فتلكَ حقيقةٌ   نحيا بها سحرية الأفْنان

تلك الصباباتُ التي مرّت بنا   أمست حياة في دمي وكياني

فاشربْ سلافة ذكرها ودعِ الأسى   فالذكرياتُ حياةُ قلبٍ فانِ



بقلم: د. حمد بن ناصر الدخيل / الرياض

أتى على اللغة العربية عهد زاهر، كانت فيه لغة العالم الاسلامي من تخوم الصين الى سواحل المغرب وشبه جزيرة ايبيريا، ومن سواحل البحر الأسود ومشارف جنوب اوربا الى سواحل المحيط الهندي واواسط افريقيا، ولم يتح للغة قديمة هذا الانتشار الواسع الكبير مثلما اتيح للغة العربية، فاللغة اليونانية القديمة لم يتعد نطاقها بلاد اليونان وبعض البلدان المحيطة بها، على الرغم من أنها كانت لغة ثقافة وأدب وعلم، واللغة اللاتينية كانت منحصرة في البلاد الخاضعة للدولة الرومانية الغربية والشرقية، واللغة الهيروغليفية لغة الفراعنة لم تتجاوز وادي النيل الا قليلا على الرغم من كونها لغة حضارة ولغة علم. وهذه اللغات الثلاث تعتبر من أظهر اللغات القديمة ذات البنية الحضارية، ويأتي بعدها اللغة الفهلوية، وهي لغة الفرس، واللغة السنسكريتية، وهي لغة الهند القديمة، ولغة الصين، وهذه اللغات الثلاث الأخيرة لم تظفر أيضا بمثل ما ظفرت به اللغة العربية من الذيوع والانتشار.

والشيء الوحيد الذي أتاح للعربية هذا الانتشار السريع في فترة قصيرة من الزمن، انها أصبحت لغة القرآن الكريم، ولغة الاسلام عبادة وعلما وتأليفا وكتابة، فكنت ترى العلماء المسلمين يؤلفون باللغة العربية في بخارى وسمرقند وخوارزم، وخراسان، والتركستان، وغير ذلك من الاقطار البعيدة النائية التي لم يسمع بها العرب في جاهليتهم، وما كان يدور في خلد أحد من الناس أن العربية ستبلغها يوما ما، وتكتسح امامها اللغات الاقليمية السائدة هناك، لو لم ييسر الله تعالى للعربية أن تصبح لغة كتابه القرآن الكريم، ولسان دينه القويم.

وبلغ من شهرة اللغة العربية أن أقبل عليها بعض الاوربيين يتعلمونها ويدرسونها في معاهد العلم في

قرطبة وأشبيلية وغرناطة وغيرها من عواصم الأندلس ومدنه الزاهرة، وأصبحت لغة المسلمين والمسيحيين، ولا أدل على ذلك من تلك الشكوى التي اطلقها «الفرو» القرطبي، أحد قساوسة النصارى في الأندلس، انقلها بنصها من كتاب «تاريخ الفكر الاندلسي» للمستشرق الاسباني «بالنثيا» المتوفى سنة ١٩٤٩م، يقول الفرو: «ان اخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب، وحكاياتهم، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلسفة المسلمين، لا ليردوا عليها وينقضوها، وانما لكي يكتسبوا من ذلك اسلوبا عربيا جميلا صحيحا. وأين تجد الآن واحدا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الاناجيل المقدسة؟ ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين، وآثار الانبياء والرسل؟ يا للحسرة!! ان الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم الا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها، ويقبلون عليها في نهم، وهم ينفقون اموالا طائلة في جمع كتبها، ويفخرون في كل مكان بأن هذه الآداب، حقيقة، جديرة بالاعجاب، فاذا حدثتهم عن الكتب النصرانية اجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا اليها انتباههم، يا للألم!!، لقد انسي النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد في الألف منهم واحدا يستطيع ان يكتب الى صاحبه كتابا سليما من الخطأ، فأما عن الكتابة في لغة العرب، فانك واجد منها عددا عظيما يجيدونها، في اسلوب منمق، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب انفسهم فنا وجمالا.»

ومن مظاهر عالمية اللغة العربية بصماتها الواضحة التي تركتها في كثير من اللغات القديمة والحديثة، وهي بصمات تتعدى المفردات والألفاظ الى الصيغ والدلالات. ومن أهم اللغات التي أثرت فيها اللغة العربية بشكل أو بآخر اللغة اللاتينية، وهي لغة الرومان التي شاع استعمالها في ايطاليا وفرنسا واسبانيا، وجميع البلدان التي كانت تخضع للدولة الرومانية الغربية والشرقية قبل سيادة اللغات الاوربية الحديثة التي تفرعت عنها، واستطاعت بمضي الزمن ان تتحول من لهجات محلية الى لغات تستوعب معطيات الادب والفن والحضارة.

وتأتي بعد ذلك اللغات الاوربية الحديثة، وهي كثيرة، وقد حملت شيئا غير قليل من تأثرها بالعربية، وبخاصة اللغة الاسبانية، التي عاشت جنبا الى جنب مع اللغة العربية في الأندلس طوال ثمانية قرون.

حينما فتح المسلمون الاندلس عام ٩٢هـ (٧١١م) كانت هناك اللغة اللاتينية التي ادخلها الرومان الى شبه جزيرة ايبيريا خلال حكمهم لها من عام ١٣٤ق.م. الى سقوط روما عام ٤٧٦م، وبقي من آثارهم لغتهم اللاتينية والدين المسيحي.

وبالاضافة الى اللاتينية كانت هناك لهجة محلية متفرعة من اللاتينية تسمى بـ«الرومانس — Ramance» يتحدث بها عامة الاسبان، وهي التي تعرف اليوم بلغة اسبانيا.

وقد عاشت هذه اللغة،جنبا الى جنب، مع اللغة العربية من ذلك التاريخ واكتسبت خلال تلك المدة الطويلة كثيرا من مفردات العربية ودلالاتها.

ومن اللغات الشرقية التي أثرت فيها العربية تأثيرا كبيرا اللغة الفارسية والاوردية والتركية، وبلغ من تأثير العربية حدا كبيرا جعل هذه اللغات تتخذ شكلها من الحرف العربي كما هو واضح.

على أن موجة اللغة العربية انحسرت بانحسار المد الاسلامي في كثير من الاقطار نتيجة لضعف المسلمين وتخاذلهم وتواكلهم، وأخذ سلطانهم يضعف، وطغت عليها اللغات الاقليمية في كثير من البلدان بعد أن كانت لها السيادة اللغوية.

ولكنها بدأت في العصر الحديث تستعيد شيئا من مكانتها السابقة، وتفرض وجودها كلغة عالمية ذات تاريخ طويل ومجد شريف، وباع طويل في استيعاب معطيات عدد من الحضارات والثقافات الانسانية، وتنبه العالم الى اهميتها ودورها الحضاري، فأصدرت هيئة الأمم المتحدة قرارا باعتبارها احدى اللغات الست الرسمية في الهيئة وفي جميع المنظمات التابعة لها.

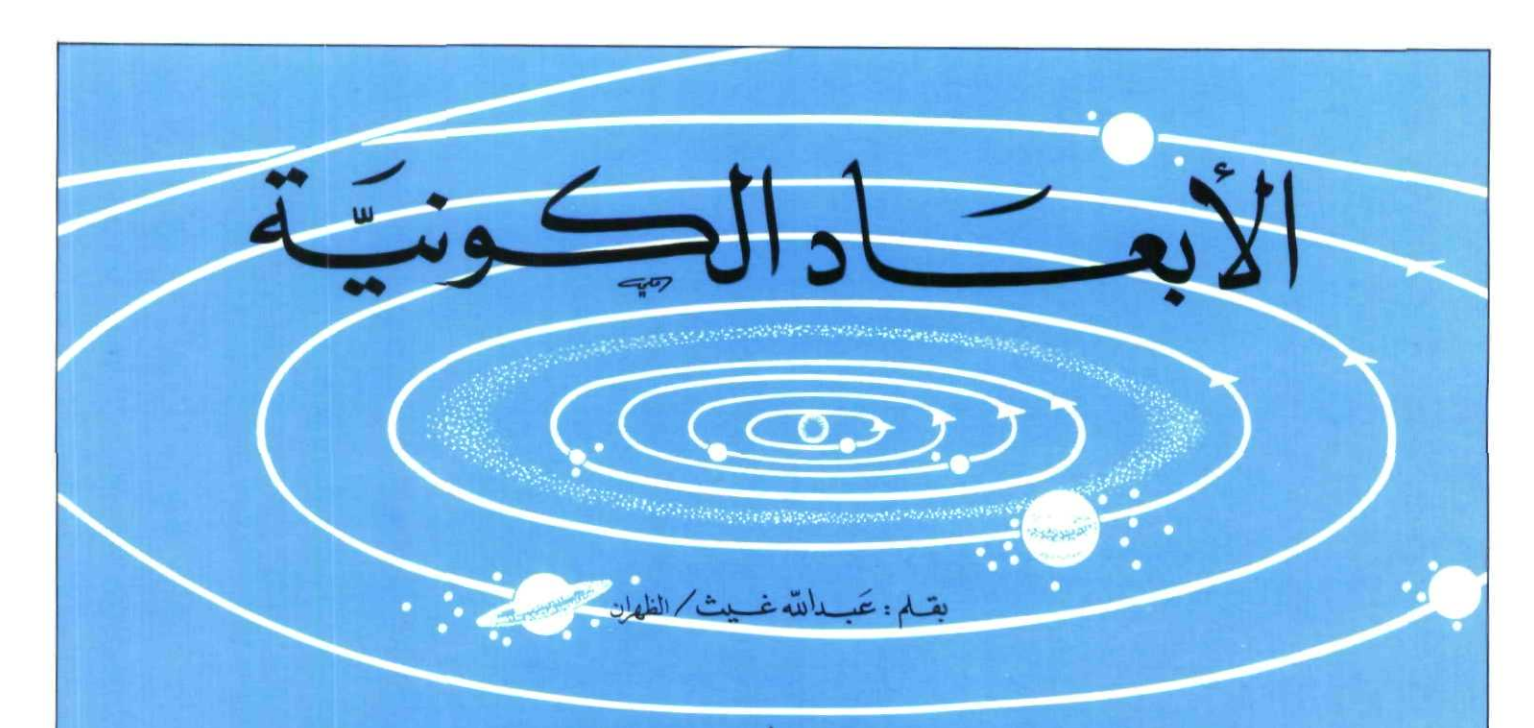
وقبل هذا نبه المستشرقون في اوربا وامريكا الى أهمية اللغة العربية حينما وجهوا جهودهم الى دراستها، وبعث كنوزها التراثية، والسعي الى افتتاح اقسام لها في الجامعات الغربية تعنى بتدريسها.

الا أن أهم خدمة وجهت لنشر اللغة العربية في العصر الحديث كانت من أبناء المسلمين أنفسهم، حينما تنبهوا الى ميزة اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولغة السنة النبوية المطهرة، ولغة التراث الاسلامي، وأحد الروابط الوثيقة التي تربط بين العالم الاسلامي في جميع بلدانه، فتوسعوا في تدريسها ونشرها من خلال الجامعات والمراكز والجمعيات العلمية والثقافية.

وانعكس هذا الاهتمام على كثير من دول العالم، فأصبحنا نرى مادة اللغة العربية والثقافة الاسلامية تقرر في كثير من الجامعات الغربية والشرقية، وتفتتح لها الأقسام والشعب.

ولكن على الرغم من ذلك، فان ما خطته اللغة العربية حتى الآن يعد في عمومه خطى وئيدة رفيقة، ويبدو انها لن تستعيد مكانتها السابقة الا بأمرين كانا سبب شهرتها وانتشارها فيما سبق، هما:

* نشر الاسلام على نطاق قوي وواسع لارتباط العربية بهذا الدين امتدادا وتقلصا.
* حضارة عربية قوية، تفرض نفسها على العالم فرضا □



تبعد الأرض عن الشمس حوالي ١٥٠ مليون كيلومتر. وللوهلة الأولى يبدو الرقم هائلا. فليس هناك على الأرض ما يقارب هذه المسافة، اذ يبلغ قطر الأرض حوالي ١٢ ٠٠٠ كيلومتر، وأكبر محيط لها يبلغ ٤٠ ٠٠٠ كيلومتر. ومع ذلك فان بُعْد الأرض عن الشمس (الذي اصطلح الفلكيون على تسميته بالوحدة الفلكية) يكاد يبدو ضئيلا اذا ما قيس بالأبعاد الكونية السحيقة. فعندما نصل الى المجرّات البعيدة تصبح الأرقام عديمة المعنى وتغدو المقارنات هي السبيل الوحيد لادراك حقيقة هذه الأبعاد. وسنحتاج الى هذه المقارنات بمجرد أن نبدأ في مغادرة الأرض في رحلة كونية لنبدأها بمجموعتنا الشمسية. وقبل أن نخرج من هذه المجموعة، وهي التي يبدو حجمها مذهلا بالقياس الى الأرض، لا بد لنا من أن نبدأ بمعرفة كواكب مجموعتنا الشمسية وابعادها كما يوضحها الجدول التالي:

الكوكب	بعده عن الشمس بملايين الكيلومترات	المسافة بالوحدات الفلكية
عُطارد	٥٧,٩	٠,٣٨٧
الزُّهرة	١٠٨,٢	٠,٧٢٣
الأرض	١٤٩,٥	١,٠٠٠
المرِّيخ	٢٢٧,٩	١,٥٠٠
المُشتَري	٧٧٨,٣	٥,٠٠٠
زُحَل	١٤٢٨	١٠,٠٠٠
أورانوس	٢٨٧٢	٢٠,٠٠٠
نِبْتون	٤٤٩٨	٣٠,٠٠٠
بلوتو	٥٩١٠	٤٠,٠٠٠

ونظرا الى أن «بلوتو» هو أبعد كوكب في مجموعتنا الشمسية، فان مداره يشكل تقريبا محيط هذه المجموعة التي مركزها الشمس. أي أن قطر المجموعة الشمسية يبلغ حوالي ١٢ الف مليون كيلومتر. وبامكاننا أن ننظر الى هذه الأبعاد من زاوية أخرى هي سرعة الضوء. وتبلغ هذه السرعة ٣٠٠ الف كيلومتر في الثانية. وللتعبير عن المسافات الهائلة لا بد لنا من استخدام مقياس يعتمد على سرعة الضوء. وبذلك نستطيع القول بأن المسافة التي تبلغ ٣٠٠ الف كيلومتر تعتبر «ثانية ضوئية». وبضرب هذا الرقم في ٦٠ نحصل على «الدقيقة الضوئية»، وهي تعادل ١٨ مليون كيلومتر. وبالمثل فان طول الساعة الضوئية يعادل تقريبا بليون كيلومتر. من هنا نستطيع أن نعتبر أن كوكب «بلوتو» يبعد عن الشمس ٦ ساعات ضوئية تقريبا. أي أن ضوء الشمس يصل الى «بلوتو» بعد ٦ ساعات من انبعاثه منها. وعلى هذا فان قطر المجموعة الشمسية يبلغ ١٢ ساعة ضوئية. وبما أن المسافات التي سنصل اليها بعد برهة وجيزة تفوق ابعاد مجموعتنا الشمسية بكثير فاننا سنلجأ الى عقد مقارنات بين تلك الأبعاد بصورة مصغرة. فلو تصورنا اننا صنعنا نموذجا نصغر فيه مجموعتنا الشمسية الى جزء من عشرة بلايين من حجمها الحقيقي. فان الشمس في هذا المقياس المصغر تصبح عبارة عن كرة قطرها ١٤ سنتيمترا. وتُمثَّل الأرض بحبة سمسم تبعد ١٥ مترا عنها. وعلى بعد ٤ سنتمترات من الأرض نرى القمر الذي لا يعدو قطره في هذا المقياس ثلاثة اعشار المليمتر. وعلى بعد ٧٨ مترا نصادف كوكب «المشتري». أما «بلوتو»، الذي يصبح أصغر حتى من حبة السمسم، فانه يقع على بعد ٦٠٠ متر. وبذلك تنتهي حدود المجموعة الشمسية. فاذا اردنا الذهاب الى أقرب نجم الينا، أي الى أقرب كرة حسب هذا المقياس، فان علينا ان نقطع مسافة ٤٠٠٠ كيلومتر. وهذا يعني اننا نعيش في منطقة كونية شبه خالية. ويتبدى هذا الخلاء بوضوح اذا علمنا أن

عدد النجوم التي سنصادفها في دائرة نصف قطرها ٢٠٠ الف كيلومتر لا يزيد على ١٠٠ نجم. ولا ننسى أن هذه الأرقام تمثيلية لأن الشمس لا تبعد عنا في هذا النموذج الا ١٥ مترا!. وقد مثلنا الشمس بكرة قطرها ١٤ سنتمترا، والنجوم القريبة بكرات تبلغ اقطارها من ١٠ الى ٢٠ سنتمترا. وبالتالي فان من المذهل أن لا نصادف سوى ١٠٠ كرة في مسافة تبلغ في هذا النموذج المصغر نصف المسافة الحقيقية بيننا وبين القمر! بل ان منظر المجموعة الشمسية نفسه يبدو مختلفا رغم ضآلة حجمها. فلو تخيلنا أننا وقفنا على الكوكب «اورانوس» ونظرنا الى الكواكب الأخرى ضمن المجموعة الشمسية فاننا لن نرى الا ثلاثة كواكب هي المشتري وزحل ونبتون لانها كبيرة الحجم وقريبة نسبيا من الكوكب «اورانوس». اما الكواكب القريبة من الشمس، وهي عطارد والزهرة والأرض والمريخ، فانها ستختفي تماما في ضوء الشمس الباهر، ولن يتمكن الواقف على اورانوس من معرفة حتى مجرد وجودها.

ننتقل الآن الى النجوم القريبة من الشمس. وسنعتبر أن «جيراننا» من النجوم يسكنون في دائرة يبلغ نصف قطرها ١٧ سنة ضوئية (السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة، وهي تعادل حوالي ١٠ ملايين مليون كيلومتر). فاذا ما نظرنا الى هذه النجوم من الأرض فاننا نجد أن مجموعها يبلغ ٤٤ نجما. وسنحاول الآن أن نتخيل مسافاتها.

سيكون مقياسنا الآن أصغر من الأول. وسيكون السنتمتر الواحد معادلا لمليون كيلومتر. وفي هذا المقياس نجد أن بعد القمر عن الأرض هو ٢,٥ مليمتر، وبعد الشمس عن الأرض متر ونصف المتر. اما المشتري فيقع على بعد ٧,٧٨ امتار، وبلوتو على بعد ٥٩ مترا. وبذلك تنتهي حدود كواكب المجموعة الشمسية. واذا ما اردنا الذهاب الى أقرب نجم الينا فان علينا أن نقطع مسافة ٤١٠ كيلومترات. واذا ما ذهبنا في اتجاه آخر فاننا سنقابل نجما يقال له نجم «نارنارد» الذي يقع على مسافة ٥٧٠ كيلومترا. اما نجم الشِّعْرى اليمانية فانه يبعد ٨٢٠ كيلومترا، في حين يبعد نجم النسر الطائر مسافة ١٥٩٠ كيلومترا. واذا ما اكتفينا بالبقاء على تلك المنطقة من الكون فاننا سنتأخر كثيرا في رحلتنا، لأن الطريق أمامنا ما يزال طويلا. بل اننا لن نستطيع التوقف عند المحطات الكبيرة وانما عند المحطات الهائلة فقط. ومحطتنا القادمة ستكون المجرَّة التي ننتمي اليها، وهي التي تعرف باسم «درب التبَّانة».

ان هذه المجرَّة عبارة عن قرص هائل الحجم. ويبدولنا، عندما ننظر اليه، انه يمتد على طول السماء. وسنرسم مقياسنا الآن بحيث يمثل السنتمتر الواحد عشرة ملايين كيلومتر. في هذا المقياس تغدو الشمس كرة قطرها ١,٤ مليمتر، وتصبح الأرض ذرة غبار لا تُرى بالعين المجردة وعلى بعد ١٥ سنتمترا من الشمس. اما «الفاقنطوري»، وهو أقرب نجم الينا، فانه يقع على بعد ٤١ كيلومترا من الشمس، وتصبح مجرَّة «درب التبَّانة» عبارة عن قرص يبلغ قطره ٩٢٦ الف كيلومتر. وهذه المسافة التمثيلية تزيد قليلا على ضعف المسافة الحقيقية بين الأرض والقمر. أي أن أرضنا وشمسنا ليستا الا ذرة غبار بجانب كرة دقيقة في فضاء يزيد على ضعف المسافة بين الأرض والقمر. فالحجم الحقيقي لمجرَّة «درب التبَّانة» كبير الى حد أن الضوء الذي يسير بسرعة ٣٠٠ الف كيلومتر في الثانية يحتاج الى ١٠٠ الف سنة ليقطعها. اما عرضها فيبلغ ١٦ الف سنة ضوئية في منطقتها الوسطى وينقص الى ١٧٠٠ سنة ضوئية في أطرافها.

لننتقل الآن الى المحطة التالية في رحلتنا الكونية. وهذه المحطة هي مجرَّة أخرى تدعى «اندروميدا» أو «المرأة المسلسلة». وهي أقرب المجرَّات الكبرى الينا، وحجمها أكبر من حجم التبَّانة. ويبلغ بعد «اندروميدا» ٢٣٠٠٠٠٠ سنة ضوئية. يلاحظ هنا أننا قفزنا الى ملايين السنوات الضوئية عند زيارة أول «جارة» لنا. وهذه المسافة المذهلة لا يمكن تصورها بحيث تصبح كتابتها بالكيلومترات مدعاة للسخرية، خاصة وهي بهذا القرب من مجرتنا. (وحتى نتصور عقم كتابتها بالكيلومترات فانني سأذكر هنا الرقم الآن قبل أن ننتقل الى محطات أخرى ليصبح بعدها بالسنة الضوئية مذهلا. ولذلك، وقبل الوقوع في مأزق، نقول ان بعد المجرَّة «اندروميدا» عن درب التبَّانة يبلغ ٢٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ كيلومتر فقط لا غير. وللعلم فان هناك اسما لهذا الرقم وهو ٢٣ كوينتليون).

لنر ماذا تعني هذه الأرقام، ونعود الى مقياسنا التمثيلي الذي سنضطر الى تصغيره مرة أخرى. في هذه المرة سنعتبر كل سنتيمتر واحد يعادل ١٠٠ مليون كيلومتر. وهنا تصبح الشمس كرة يبلغ قطرها ٠,١٤ مليمتر، وتختفي الأرض وان كانت ستظل تدور حول الشمس وعلى مسافة ١,٥ سنتيمتر منها. وعلى بعد يزيد قليلا على ٤ كيلومترات نلتقي بأقرب نجم الينا وهو «الفاقنطوري»، الذي سيصبح أيضا في حجم حبة يبلغ قطرها ٠,١٤ مليمتر، وتنكمش مجرَّة درب التبَّانة الى قرص قطره ٩٢٥٧٠ كيلومترا. وحتى ننتقل من الأرض الى «اندروميدا»، فان علينا أن نقطع مسافة في الفراغ الكوني تبلغ ٢١٦٠٠٠٠ كيلومتر. وهي مسافة تزيد على خمسة أضعاف المسافة بين الأرض والقمر. ولكنها طبعا مقيسة على سلم مصغر، اذ تصبح المسافة بين الأرض والقمر مجرد ٠,٠٠٤ مليمتر. وقد تمكن الانسان من قطع هذه المسافة، كما تمكن أيضا من الخروج من مدار كوكب المشتري، الذي يبعد عن الأرض مسافة سنتمترين اثنين في هذا النموذج. أي أن المركبة الفضائية التي اطلقت للخروج من المجموعة الشمسية تكون قد قطعت مسافة سنتمترين للوصول الى كوكب المشتري في رحلة استغرقت عدة سنوات، وعليها ان تقطع فقط مسافة ٢١٦٠٠٠٠ كيلومتر للوصول الى المجرَّة «اندروميدا». وسأترك للقارىء حساب المدة الزمنية التي ستحتاجها المركبة للوصول الى هذه المجرَّة.



نحن الآن في مكان ما على المجرة «اندروميدا» ونريد، نحن سكان كوكب الأرض، أن نلقي نظرة على كوكبنا الأم قبل أن نغادرها الى محطة أخرى. وها نحن نوجه مرقابنا الهائل الى الأرض. ولكن هيهات! لأننا في محاولتنا رؤية الأرض من المجرَّة «اندروميدا» نكون كمن يبحث عن حبة رمل معينة على شاطىء طوله كيلومتر واحد وعرضه ٨٠ مترا، وعمقه ١٠ سنتمترات!

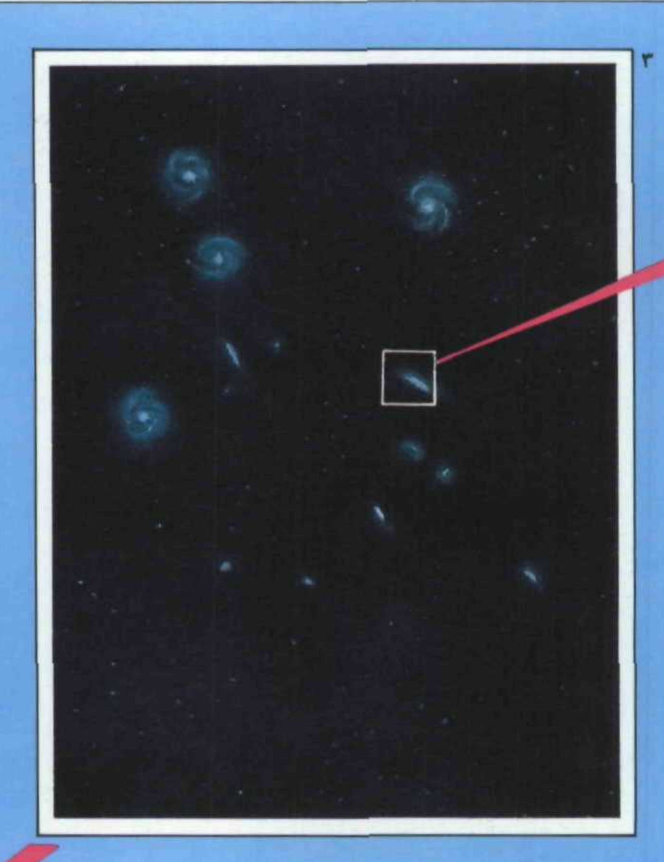
لا شك في أن انفاسنا قد احترقت بعد هذه الرحلة التي شملت مجرتين اثنتين فقط، لا بل مجرَّة واحدة. لأن درب التبَّانة هي منزلنا الذي نسكن فيه، وكل ما قمنا به هو مجرد زيارة لمجرَّة جارة لنا. فاذا ما أردنا قطع مسافات أبعد وبالسرعة نفسها فان الرحلة ستطول وتطول الى ما لا نهاية.. ولذلك فانه لا بد لنا من أن نختصر الرحلة الكونية هذه بقفزة واحدة. ويا لها من قفزة! لأنها ستغطي ما يسمى بالكون المنظور، أي الكون الذي استطاعت المراصد الفلكية أن تصوره.

يبلغ نصف قطر هذا الكون المنظور ١٥ سكستليون كيلومتر، أي الرقم ١٥ وعن يمينه ٢١ صفرا. وسنتصور الآن أن هذا الكون بأسره هو عبارة عن كرة يبلغ نصف قطرها كيلومترا واحدا. ولننظر ما الذي سيحدث داخل هذه الكرة: تصبح مجرَّة درب التبَّانة (وعدد نجومها يزيد على ١٠٠ بليون نجم) في حجم قرص «الأسبرين» في مركز تلك الكرة. وتقع مجرَّتنا ضمن مجموعة من المجرَّات تدعى المجموعة المحلية (!)، وتشترك معنا في تلك المجموعة، بالطبع، جارتنا «اندروميدا»، وهي أيضا في حجم قرص «الأسبرين»، وتبعد فقط مسافة ١٣ سنتمترا عن مجرتنا. ثم تليها الكوكبة الثانية من المجرَّات وتدعى «معمل النحات» على بعد حوالي ٦٠ سنتمترا. وعلى بعد ثلاثة أمتار منها تقع كوكبة السُّنْبُلَة (بُرج العذراء) وهي في حجم كرة القدم، وتحتوي على ٢٠٠ مجرَّة. ونلتقي على بعد ٢٠ مترا بكوكبة الذؤابة، وهي تحتوي على آلاف المجرَّات. وبعدها نصادف مجموعات هي أكبر حتى من الذؤابة، ويبلغ قطر أكبرها ٢٠ مترا. وعلى بعد ٤٥ مترا نلتقي

بواحدة من أقوى وأكبر المجرَّات التي تبث موجات الراديو، وهو كوكبة الدجاجة أ. ثم نأتي على المع كويزر في السماء (الكويزر هو جسم مضغوط يشع بقوة تعادل مجرَّة بأكملها. وهو يشبه النجم في شكله نظرا لبعده الهائل عن الأرض الذي يزيد احيانا على بلايين السنوات الضوئية. ويعتقد العلماء ان الكويزر هو مجرَّة بعيدة بعدا سحيقا). وهذا الكويزر هو 3C273 ويبعد ١٣٠ مترا. اما بعد ذلك، وحتى حافة الكون المنظور، فانك لا تجد امامك الا اعدادا كبيرة من هذه الأجسام القريبة المعروفة بالكويزر، فسبحان رب الكون رب العظمة والجلال، وصدق عز وجل حين قال: ﴿**والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون**﴾ الذاريات/٤٧، و ﴿**وما اوتيتم من العلم الا قليلا**﴾. صدق الله العظيم (الإسراء/٨٥) □

ملاحظة: المقارنات الفلكية مأخوذة من كتاب «ما وراء القمر» تأليف «باولو مافي». اما تصوير حجم الكون بكرة نصف قطرها كيلومتر واحد فمصدره مجلة «New Scientist»، عدد ٢٧ مارس ١٩٨٦.

٣



٤



موقع الأرض في الكون:

لا يستطيع اللسان بما اوتي من فصاحة وصف الفضاء الهائل الذي تسبح الأرض في جزء منه. ولعل هذه الصور الأربع تعطي فكرة تقريبية عن موقع الأرض في الكون وعن طبيعة هذه المسافات المذهلة في الصورة «١» نرى الكواكب، التي كبرت احجامها بالنسبة للنجوم المجاورة في الصورة، تظهر واقعة على خط وهمي يربط بين مستويات مداراتها. عندما نضع الصورة الأولى في موقعها في المجرة، الصورة «٢»، فان حجمها يتضاءل الى حد يقرب من الاختفاء، وتصبح الشمس مجرد ذرة غبار ذهبية من بين ٢٠٠ بليون نجم. اما الكواكب فلا يبين لها أثر. ومع ذلك فان مجرتنا التي تحتل موقعا مهيبا في الصورة رقم «٢» تصبح مجرد شعلة بسيطة عندما تأخذ حجمها النسبي ضمن المجموعة المحلية للمجرات في الصورة رقم «٣». وعندما نضع المجموعة المحلية للمجرات ضمن اطارها في الصورة رقم «٤» فانها لا تأخذ الا جزءا لا يكاد يذكر منها، على الرغم من أن الصورة رقم «٤» لا تمثل بدورها الا جزءا لا يكاد يذكر من الكون.

حمزة شحاتة الأديب الفيلسوف

بقلم : د. مصطفى ابراهيم حسين / الرياض

ولد حمزة شحاتة بمكة المكرمة في عام ١٣٢٨/١٩١٠م، وانتقلت اسرته، وهو ما يزال صغيرا، الى مدينة جدة، وفيها نشأ وتعلم، حيث التحق بمدرسة الفلاح، وهي واحدة من ثمار جهد الراحل محمد علي زينل رضا، وحصل منها على شهادتها الثانوية.

وفي مدرسة الفلاح، ذات التاريخ والأثر في الحركة الأدبية السعودية، ظهرت بواكير موهبته الأدبية، وكانت المدرسة، فيما يبدو، تعنى عناية كبيرة برعاية المواهب الأدبية، وعقد الندوات وتنظيم المسابقات. ومن بين اساتذتها، آنذاك، الأديب الراحل محمد حسن عواد، احد اساتذة حمزة شحاتة، وأحد الطرفين في خصومة كبيرة سوف تنعقد، فيما بعد، بين الاستاذ وتلميذه لتشكل في التاريخ الأدبي لونا من ألوان «النقائض» الحادة، مما سوف نلم ببعض أطرافها في بحثنا هذا.

وقد عمل حمزة شحاتة بعد تخرجه من مدرسة الفلاح، لدى متاجر آل زينل في الهند. ويبدو أن وجوده في الهند لفترة قد مكنه من الاطلاع على قدر من الثقافات الاجنبية، التي كان يطلع عليها مترجمة الى العربية، أو من خلال اخوانه واصدقائه العارفين باللغة الانجليزية، أو بلغات آسيوية. وسيكون لهذا المحصول الثقافي أثره في اكساب أدب حمزه شحاتة ذلك الوميض الفكري المتألق. ولسوف يتشكل هذا الطابع الفكري في أدب حمزه شحاتة بمزاج وجداني، ليكون — حينا — سخرية وفكاهة، وحينا شكوى غاضبة هادرة، أو تأملا واستبطانا للكون والناس.

وحين عاد حمزة شحاتة الى وطنه، شغل وظيفة ادارية في الحقل التجاري، فكان أمينا عاما للمجلس التجاري بجدة. ثم عمل مديرا لادارة السيارات والنقليات العامة للحكومة، فمساعدا لرئيس ديوان المحاسبات العمومية بوزارة المالية ثم اشتغل بالتجارة مع شقيقه محمد نور شحاتة.

ويعود حمزة شحاتة الى الاغتراب مرة أخرى، فيعمل محاسبا للبعثات السعودية بمصر. وكانت لهذه الرحلة الى مصر أثرها الثقافي لدى حمزة شحاتة، اذ اتاح له مقامه بمصر ان يعايش الحركة الأدبية والثقافية بها. فالتقى بشعراء مصر وكتابها ونقادها ونشرت له الصحف المصرية بعض أشعاره، كما نشرت التحقيقات والاستطلاعات عن حمزه شحاتة وأدبه كما عني بعض الأدباء المصريين بجمع طائفة من نتاجه

الشعري والتقديم له. اذ صدرت لحمزة شحاتة مجموعة من القصائد بعنوان «شجون لا تنتهي»، قدم لها الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجة. وفي الثاني عشر من ذي الحجة عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، توفي حمزة شحاتة بالقاهرة، رحمه الله. يقول صديقه ورفيق عمره عزيز ضياء: «وما كاد ينشر خبر وفاته في الثاني عشر من شهر ذي الحجة عام الف وثلاثمائة وتسعين، حتى ازدحمت جميع صحف المملكة ومجلاتها، بما جاشت به نفوس وعواطف الأدباء والشعراء من مشاعر الفجيعة فيه والتقدير لمكانته، والحسرة والأسى لفقده. وكانت هذه الهزة التي سرت في نفوس الكتاب والأدباء، واخص منهم الشداة والناشئين ظاهرة، قل أن التفت الى عنصر الغرابة فيها أحد، ممن ظلوا يوالون الكتابة عنه راثين، وفي رثائهم دفقات فوارة من الاعجاب بأدبه. وزخات محتدمة من الاشادة بعبقريته».

الشاعر

لم يعن حمزة شحاتة بجمع اشعاره في ديوان يضم شتاتها المفرق، بل عاش حياته عزوفا عن النشر زاهدا في الشهرة أشد ما تكون الزهادة. وجل ما يظفر به الباحث من أشعاره، ذلك الشتات المبعثر في صحف ومجلات سعودية ومصرية، ما تزال تنتظر من يسعى الى جمعها في ديوان أو دواوين.

هذا الى بعض القصائد في كتب مثل كتاب عبدالسلام طاهر الساسي «الشعراء الثلاثة»، وكتاب «نظرات في الأدب المقارن»، الجزء الأول من كتاب «المرصاد»، لابراهيم هاشم فلالي، وكتاب «التيارات الأدبية في قلب جزيرة العرب» لعبدالله عبدالجبار بالاضافة الى الكتاب الذي اوردنا ذكره وهو «شجون لا تنتهي» والذي صدر عن دار الشعب بالقاهرة، ولعله الكتاب الوحيد الذي يقترب من نموذج الديوان. لأن أكثر ما ورد من أشعار حمزة شحاتة في غيره قد وردت مورد الشاهد في ثنايا الدراسة.

ونرانا مضطرين الى العودة لاحجام حمزة — رحمه الله — عن النشر، فندع ابنته السيدة شيرين تحدثنا عن هذه الظاهرة، فتقول: «لقد كان، يرحمه الله، ويكرم مثواه، يحب البعد كل البعد عن الشهرة وتسليط الأضواء على أي عمل يقوم به. وأبسط الأمثلة على ذلك ان صحيفة «الأهرام» القاهرية نشرت عنه «ريبورتاجا» مصورا ويبدوأن الكاتب كان من أشد المعجبين.. ذكر خلال الدراسة التي اعدها عنه كلمات مستفيضة من المدح عن شخصيته وأدبه وشعره.. الخ وأذكر يومها — وكنت في حوالي الثانية عشرة من عمري — ان صعد أحد الجيران في العمارة التي كنا نسكنها، وجاء بكل شغف واعجاب ليقول لأبي وهو ممسك بالجريدة:

— «أنت هذا الأديب العظيم والشاعر العملاق تسكن بيننا كل هذه الأعوام، ولا نعلم عنه أي شيء من هذا..؟؟». فرد عليه ابي بمنتهى الأدب والتواضع، وهو ينظر الى الأرض:

— «لست أنا يا سيدي المقصود بهذا الكلام المذكور في هذا الريبورتاج.. لشد ما كان يسعدني ذلك..» ولكنه مجرد تشابه في الأسماء.. فهناك أديب مشهور حقا في المملكة اسمه حمزة شحاتة.. اما حمزة شحاتة الذي امامك، فهو انسان عادي يعمل مربية لخمس بنات..

— وانصرف الجار، بعد أن تأسف لوالدي عن اللبس الذي حدث.. وهو يود أن يقابل — ذات يوم — الأديب حمزة شحاتة».

وأول ما يلحظه دارس شعر حمزة شحاتة، على قلة المجموع منه، أن حمزة شحاتة ينتسب الى المدرسة الرومانسية، تلك التي انتسب اليها جيل الرواد من الشعراء السعوديين، أمثال محمد حسن العواد، وحسين سرحان، وحسين عرب، وطاهر زمخشري، وعبدالوهاب آشي، وأحمد عبدالغفور عطار، ومحمد حسن فقي وغيرهم. وهي مدرسة استقت مصادرها الابداعية من التيار الرومانسي المجدد الذي جسدته مدرسة الديوان، ومدرسة المهجر، ومدرسة ابولو، على تفاوت بين هذه المدارس في تشخيصها للعناصر الرومانسية، وعلى تفاوت أيضا بين الشعراء السعوديين في التأثر بهذه أو بتلك من المدارس المذكورة.

كما كان للعوامل التي سادت العصر والبيئة العربية أكبر الأثر في التشكيل النفسي لهذا الجيل من المثقفين، وهو تشكيل جعل الاتجاه الرومانسي أوفق الاتجاهات الشعرية لمزاجهم وملابسات حياتهم، وهو «المزاج الانطوائي الذي يفرض على بعض الشعراء ان يعيشوا في ابراجهم العاجية، وينطووا داخل نفوسهم» كما يقول عبدالله عبدالجبار في كتابه «التيارات الأدبية في قلب جزيرة العرب».

نقول هذا ونؤكده حتى لا يتوهم متوهم أن الرومانسية التي اعتنقها هذا الجيل كانت «حالة»، وليست «موقفا»، نعني «حالة تقمص ومحاكاة» وليس موقفا فنيا نابعا من أعماق النفس ومعاناتها.

ولعل شاعرا من جيل حمزة لا يصدق عليه هذا التشخيص الذي الحنا اليه صدقه على حمزة شحاتة نفسه الذي تشهد طبائعه النفسية واسلوبه في حياته بأن رومانسيته لم تكن في أدبه وابداعه فقط، بل كانت في موقفه وطبيعة نظرته وعلاقاته وآرائه وسلوكه. وكلها خصائص تحدث بها عارفوه من أصدقائه وقرناء مسيرته الأدبية. وثاني ما يلحظه الدارس لشعر حمزة شحاتة هو «النزعة الوجدانية الغالية» وتلك تتطابق مع «الاتجاه الرومانسي»، بل تكاد تكونه وتصبح مرادفا له... ففي غزله تبدو مرارة المنازع النفسية حادة صخابة الايقاع: حزنا واحجاما وترددا وشكا ويأسا ورهبة وغضبا وكبرياء. وليس الغزل عند حمزة شحاتة «تهاويم نفس» بل هو، مع وجدانيته الغالية، يرتكز على «ومضات فكرية» تتمثل في نثار رصين من «الحكمة» تجعل غزل شحاتة رؤية انسانية شاملة للانسان والكون والحياة والمصير، فهو، اذن «غزل الموقف» لا غزل التوله والدموع والمشاعر السطحية الهوجاء. والحياة، عند حمزة شحاتة في غزله، لها بعدان: ظاهر وباطن، والبعد الباطن هو الذي يشد بخفائه شاعرنا الباحث أبدا اعن الخفاء، فهو يسعى حثيثا عن هذا الخفاء. يمزق حجبه الكثيفة. ويحاول الكشف عن سره الفائض. ولنحاول في هذا النموذج أن نكشف، تطبيقيا، عما قررناه نظريا. يقول الشاعر من قصيدته «نهاية»:

وتشرقني منك البشاشة بالأسى
واحسد من تلقاه حين تقطب
مخافة ان تبدي لي الحب خدعة
ويغنمه ذاك البعيد المقرب
تجهم ولا تضحك فرب ابتسامة
صفت تحتها نار العداء تلهب
ولا تلقني بالقول فاض عذوبة
فما سحر لفظ رق عقباه معطب
ولولا مسيس الوجد لم اطو غصتي
على أمل في البعد والبعد مجدب
فما كذبت عند الدنو بروقه
فإن مجاليها على البعد اكذب
ولكنها امنيَّة قد جهلتها
ويا رُبَّ مجهول يراد ويعذب
فإن بلغته النفس عافته وارعوت
وشأن قلوب العاشقين التقلب

فالشاعر هنا معرض تمام الاعراض عن ذلك «البعد الظاهري» باحث ابدا عن ذلك «البعد الخفي»، ولهذا فانه يشرق ببشاشة محبوبه، بينما يحسد الآخرين على تقطيبه لهم، فهو يطالب المحبوب أن يتجهم ويقطب. والمجهول لديه عذب، فان انكشف وسقط عنه القناع زهدته النفس على حد تعبيره في البيتين الأخيرين. وظلال الكآبة والأحزان تجلل النسيج التعبيري من شعر حمزة شحاتة الغزلي، فتطالعنا في النص المتقدم الفاظ مثل: تشرقني — الاسى — تقطب — مخافة — تجهم — نار العداء — معطب — غصتي — مجدب — اكذب — عافته وارعوت. ونحس بأن أحزان حمزة شحاتة ليست تيارا مفتعلا مصطنعا، برغم طغيان تلك الأحزان، وهذا ما قصدنا اليه حين قررنا، من قبل، بأن شحاتة أصدق ابناء جيله من الشعراء السعوديين في تمثيله للرومانسية.

* — هكذا وجدته. واظن الصواب (فمن)

اما تيار الفكر الذي أشرنا اليه ممثلا في «نثار الحكمة»، فيمثله البيتان الأخيران في النص، كما يمثله قوله:

(٭) لما كذبت عند الدنو بروقه

فان مخاليها على البعد أكذب

هذا عدا أبيات أخرى في القصيدة التي منها النص الذي تناولناه.

وحين يطالع حمزة شحاتة «قصيدة الوصف»، فانه يتحول الى عاشق موله، يحرك رؤى الطبيعة في اعماقه عشق الشاعر وصباباته، وتزايله في أكثر الأحيان مسحة الكآبة التي تصبغ غزلياته، كما تزايله تلك المسحة الفكرية ممثلة في «ابيات الحكمة»، وتنساب شاعريته في عفوية منطلقة منسابة.

لهذا لا نجاوز الحقيقة لو قلنا: إن حمزة شحاتة في قصيدة «عروس البحر» في وصف مدينة جدة، اغزل منه (فيما اتيح الاطلاع عليه من قصائد غزله) والتي يقول فيها:

النهى بين شاطئيك غريق

والهوى فيك حالم ما يفيق

ورؤى الحب في رحابك شتى

يستفز الأسير منها الطليق

ومعانيك في النفوس الصديا

ت الى ريها المنيع رحيق

جدتي انت عالم الشعر

والفتنة يروى مشاعرا ويروق

تتمشى فيك الخواطر سكرى

ما يحس اللصيق منها اللصيق

كلها هائم بعالمه المخمو

ر يهفو به شذاه العبيق

ثمة ملاحظة أخرى نبديها في غزليات حمزة شحاتة، فان اللغة، في هذا الغزل، تتشح بالفخامة والرصانة، ولكنها في وصفه المتقدم تصبح أكثر ليونة ورقة. ذلك أن حمزة شحاتة — في غزله — متأمل، ولكنه في وصفه المتقدم عاشق تدنيه الطبيعة منها بجمال آسر، حتى ليبدو في «عروس البحر» مستلقيا في نشوة على الرمال، بينما يبدو في غزله، الذي قدمنا نموذجا له، ساهما مهموما، تسلمه الصبابة الى أمواج صاخبة من التأملات.

الشاعر الفيلسوف

واذا كانت «الحكمة» قد مازجت غزله فجعلت منه «العاشق المتأمل»، فان بعض قصائده قد خلصت للمضمون الفلسفي، تتأمل عالم الناس، وتتبطن دخائلهم، واذا كانت «الحكمة»، في تجربة الغزل أسيرة محدودة الحركة، فانها في الشعر الفلسفي منطلقة، تتحرك في آفاقها، وتدور في افلاكها. يقول من قصيدة: «رجع الصدى»:

لله كم تخفي الملابس ... ما في الضمائر من خسائس

الحي صائد خلسة ... سيان مغتر وعابس

يا مدعي حب الحسان ... ولست بالرجل المؤانس

لولا ثراؤك لم تجد ... لك خُلة بين الأوانس

اترى الذي اغتال الفرائس راعه وقع والفرائس

ذكروا العدالة لاهجيـ ... ـن على المنابر والمجالس

وهذه الأبيات تقتحم هي الأخرى ذلك العالم الخفي الذي أولع شحاتة به. وهو عالم النفاق والرياء يجسده حمزة شحاتة بسخرية هاجية لاذعة.

شاعر النقائض

وقد أحيا حمزة شحاتة شعر الهجاء في الأدب المعاصر، بعدما توارى هذا الغرض بعيدا مع زحف التطور والتجديد في الشعر العربي الحديث. فقد هجا شحاته منافسه الذي كان قد أوسعه هو الآخر سخرية لاذعة وهجوا مقيتا. نعني به «محمد حسن العواد»، وتذكرنا المعارك بينهما بما كان بين جرير والاخطل والفرزدق، أو بين ابن شرف وابن رشيق في المغرب.

وقد نظم شحاتة قصيدة بعنوان «ابولون» هجا فيها محمد حسن العواد. وكان العواد قد هجا شحاته ونعى عليه سمرة بشرته مرارا شعرا ونثرا، وكان يوقع اهاجيه تلك بلفظ «ابولون». وهو لفظ يموه باسم اله اليونان «ابولو» ليطعن شحاتة في سمرة لونه، فهجاه حمزة بقصيدة مطلعها:

هاكها من سحائبي وطفاء

سحها صبر السيول غثاء

هذه نكبة ذرتك رمادا

بعدما كنت كائنا يتراءى

أيها الخامل الذي ملأ الجو مواء

طورا وطورا عواء

والقصيدة، على ما نرى، تعتمد صياغة قديمة الطابع، من حيث فخامة الصياغة وقوة الجرْس في التراكيب والمفردات، كما تعتمد الهجو الساخر الذي يثير الضحك. وكلها خصائص تذكرنا بأشعار جرير على وجه الخصوص. ومع أن هذا الهجاء الشخصي، لم يعد يقره العرف الفني، فضلا عن العرف الخلقي، فان حمزة شحاتة قد استطاع ان يطور هذا الهجاء في بعض قصائده، وان يدخل به آفاقا فنية أكثر رحابة وسموا، ليدافع عن اللون الأسمر الذي كان منافسه العواد يعيره به، ويشبهه بالليل في سمرته.

ولعل قصيدة حمزة «الليل والشاعر» خير مثال على مقدرة الشاعر في تطوير اهاجيه، والدخول بها معارج فنية عالية، واحالة «الهجاء» الى لون من الوان الحكمة والتفلسف، أو لنقل: احالة «الهجاء» الى «مدح» يمتزج بالحكمة والتأمل العقلي المتفلسف. يقول شحاتة:

يا ليل يا رمز الغنى والجوى

يا ظامئا جانب٭ غدرانه

موردك الحافل يطفي الظمأ

يغبط ورادك جيرانه

يا ليل، يا ليل الهوى والرؤى

يا ملتقى الفن وديوانه

ويا شعاع اتسحر يا نبعه

ومشعل الفكر وربانه

يا نافث الفتنة رفافة

وعبقر الشعر ودهقانه

تلقن المطرب الحانه

وتلهم الشاعر أوزانه

يا ليل يا قائد جيش الدجى

يا بطلا خلد فرسانه

في صمتك المرهوب في سطوه

ما أخجل البحر.. وشطآنه

وهكذا ورّى حمزة شحاتة بالليل عن نفسه، فمدح نفسه، ودافع عن سمرته، ووصف الليل بأعذب الوصف.

شاعر الحلمنتيشيات

وهذا اللفظ «الحلمنتيشي» تسمية فكهة لنوع من الشعر الفكه المضحك. ابتكره الشاعر «حسين شفيق المصري» الزجال والشاعر والراوية. وكانت طريقته أن يأخذ البيت الأول من روائع التراث الشعري، وبخاصة المعلقات، ثم يكمل القصيدة، بنفس الروي والوزن، وبلغة هي مزيج من الفصحى والعامية، وكان «حسين شفيق» يتخذ هذا الشعر المضحك وسيلة للنقد الاجتماعي والشكوى والاخوانيات. وقد شاع عنه وعرف به، كما شاعت عنه هذه التسمية الغريبة حقا.

وقد جارى حمزة شحاتة «حسين شفيق» في هذه «الحلمنتيشيات» الساخرة المضحكة، فنظم قصيدة على وزن قصيدة شوقي الشهيرة في الترحيب بالمهاتما غاندي حين حل بمصر زائرا. يقول شحاتة:

سلام النيل يا غندي

وهذا الزهر من عندي

ولو ساعفني الدهر

لقابلتك في الهند

اضعت البيت والقر

شين في التهليس والجد

وبعت العنزة الكبرى

على صاحبنا السندي

واما سائر العفش

فقد صادره وجدي

٭ — صوابه — فيما نظن — (لمن).

٭ — هكذا في مصدرها.

٭ — كان وجدي أحد ضباط الشرطة في جدة، وانظر: عزيز ضياء: «حمزة شحاتة قمة عرفت ولم تكتشف» ص/٣٦ (المكتبة الصغيرة).

ويطيل حمزة شحاتة في هذه «الحلمنتيشية» كعادته في شعره الجاد، ويأتي بكل رصين معجب، وبكل هازل مضحك، وهو، في جده وهزله، يكشف عن نفس ساخرة حزينة، ليست السخرية فيها بأقل كشفا عن آلامها من الجد.

كاتب الرسائل

يقول عزيز ضياء في معرض عن رفيق مسيرته وصديقه حمزة شحاتة في كتابه «حمزة شحاته قمة عرفت ولم تكتشف»: «لا بد أن نعرف أن حمزة شحاته قد يكون من القلة القليلة في هذا العصر في الأدب العربي، الذين يعنون عناية فائقة تكاد تكون متخصصة، بأدب الرسائل، ولعل الذين يحتفظون برسائله من أصدقائه يرون الآن كيف يندر أن تخلو رسالة من رسائله اليهم من ومضات فكره وفلسفته وآرائه وسخريته، وهو ينطلق في هذه الرسائل على سجيته، وكأنه يجد فيها المدى الأوسع لحرية الكلمة التي لا يجدها في مكان آخر».

ولعل النموذج الوحيد المتاح لنا دراسته من الرسائل هو مجموعة: «الى ابنتي شيرين»، والتي نشرتها وعرفت بها ابنته السيدة شيرين واصدرتها دار تهامة في سلسلة «الكتاب العربي السعودي» وقد صدر في عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م وبذلك قيض لهذه القصيدة ان تفلت من اغفال كاتبها وتهيبه، الى حد الفزع، لفكرة النشر.

وكنا نظن أن هذه الرسائل سوف تلقي الضوء على جوانب من حياة الأديب وسيرته الذاتية، ولكنها لم تف بهذا التوقع، وان عوضتنا بالكثير الزاخر من فكره ونبض مشاعره، وخصائص تعبيره.

فحمزة شحاته، في رسائله، أب حان ولا نبالغ لو قلنا انه قد جمع في قلب واحد ابوة وامومة خليقتين بالاعجاب فهو يرصد حياته من أجل بناته الخمس، ولا يضيق بتوجيههن والحنو بهن والحدب عليهن. وهو في رسائله يلاحقها بالاستفسار عن صحتها واحوالها الأسَريَّة، واحوال ابنتها الوليدة، ولا يكف عن النصح والتوجيه بجد صارم حينا، ممزوج بالدعابة المرحة حينا آخر.ولنطالع سطورا من أولى رسائله يقول لابنته: «.. من الرحمة بك الا املأ نفسك شعورا بهذا الفراغ القاتل.. فمن الضروري أن تجهليه لتكوني سعيدة لا تنغص سعادتك أي ذكريات... لقد شاطرتني في الماضي أيتها الحبيبة متاعبي وآلامي، بل كانت نفسك الكريمة تحمل عني اثقالها واشدها وطأة. فمن حقك عليّ الآن أن اخلصك من الشعور بهذا.. يكفيني أن أشعر في داخل نفسي بانك معي أينما كنت.. وعندما يتخلى عني الجميع.. انك دائما امامي، وصوتك ينساب الى اذني وقلبي رقيقا حانيا، وانفاسك تتردد على وجهي وبين عيني، فتلطف حرارة احساسي بالضنك والمرارة والعذاب.. عندما اتخلص من هذا الشعور.. وعندما أفيق من غمرة هذا الذهول الذي يطوح بي في هذا الفراغ الرهيب الكبير الذي خلفه لي بعادك.. استطيع أن اكتب لك كتابة أصفى لا تجدين فيها أثر الألم والدموع».

لكن اروع كلمات الأديب في رسالته تلك قوله لابنته: «..كوني دائما اعلانا حسنا عني.. دعيني اعتز بك وأرفع رأسي.. انت حياتي وكرامتي وكبريائي فكوني دائما الابنة التي اردتها ان تكون.. كنت دائما على استعداد للموت دفاعا عنك وعن اخواتك.. فاحرصي على كرامتك وكبريائك أيتها الحبيبة الغالية، يا ابنتي الأولى.. يا أملي الكبير».

وهكذا تتألق رسائل حمزة شحاتة، لا بكلمات وألفاظ، بل بأسمى العواطف والأفكار. ولا يقتصر موقف الرجل على بذل الحب والعطف وانما يبذل مع الحب معاني التوجيه والحدب والرعاية.

وقد ظل حمزه شحاتة، في رسائله، كما هو في سائر أدبه: شعرا ونثرا، ظل ذلك الفيلسوف المتأمل، الباحث ابدا عن باطن الأشياء والمواقف واللحظات، المستبطن ابدا اطواءها واسرارها. ومن هنا زخرت رسائله بتأملاته الفلسفية، ممزوجة، في الأعم الأغلب، باصباغ كابية باكية، ساخرة هازئة، زاهدة زهادة يغلفها شيء من التشاؤم، يقول لابنته في رسالته الرابعة: «بدأ الخريف هنا، وبدأت الاوراق تتساقط، كما تتساقط احلامنا في الفراغ الرهيب... وغدا يزحف الشتاء، ويلقي ظلاله الجامدة.. ان كل شيء يتحطم اذا لم يبق في حياتنا ما نتطلع اليه.. ابدا ابدا. لم أعد أقوى على احتمال هذا الشقاء وحدي بلا معين.. انني أبدأ الفكرة ولا أعلم كيف أتمها.. وفي الليل عندما يهدأ كل شيء وينام، أظل أنا كالآلة الدائرة، تدور الى غير نهاية كانت هناك اعالي الضائعة في الاوراق.. أين هي؟ انها منذ حرمت القدرة على العمل.. تنتظر من يجمع شتاتها عبثا.. وكل يوم يمر يزيد الأمر غموضا..».

إن هذه العبارة الباكية، ومثيلات لها اخريات، تزخر بها رسالة واحدة من رسائل حمزة شحاته الى ابنته، ولو حاولنا استقصاء سواها من الرسائل، لجمعنا الكثير، وكلهن يمضين على هذه الوتيرة: مزيج من الفكر المتأمل والوجدان النابض، تجسد «تجربة» لا مجرد عبارة في رسالة خاصة، مما يجعل «فن الرسالة» لدى حمزة شحاتة قصيدة من قصائد النثر الفلسفي الذاتي، وسجلا لعالم حمزة شحاتة النفسي الباطني، تعكس النزوع الدائم الى «البوح والافضاء»، وهذا جوهر التعبير الأدبي الذاتي. وكأن حمزة شحاتة بافضائه ذاك وبوحه ينسى حدود «الرسالة الشخصية» وينطلق به جموح القلم الى فلك التعبير الأدبي الأوسع والأعمق والأشمل.

ومع هذا فثمة بعد آخر نطالعه في رسائله، وهو «البعد الفكاهي»، حيث ترن كلماته بضحكات مجلجلة في عفوية منطلقة، ويتلاعب بالألفاظ، ويستخدم العامية على مستويات شتى ويضخم المواقف بشكل تهويلي «كاريكاتيري»، ويسوق الدعابات المرحة الضاحكة. فهو في بعض رسائله يتخلى عن مخاطبة ابنته بلفظ «ابنتي الحبيبة شيرين» الى لفظ «ابنتي ام قويق» أو «يا ام قويق» هكذا مجردا من لفظ البنوة. وهو يصفها في احدى رسائله بلفظ «ابنتي الكوبرا» وليس «الكبرى». وفي رسالته السابعة والثلاثين يقول لابنته بعد أن صارت أماً: «لقد أصبحت أماً ايتها البلهاء. ومعنى هذا أن محيط حياتك يجب أن يكون عبارة عن «طشت» لا أكبر، فهو مساحة كافية قد يعجز عن تغطيتها نشاطك، وانت مطالبة من الآن بأن تتعلمي السباحة فيه.. فتلك هي المهارة التي يجب ان لا يفوتك اكتسابها..».

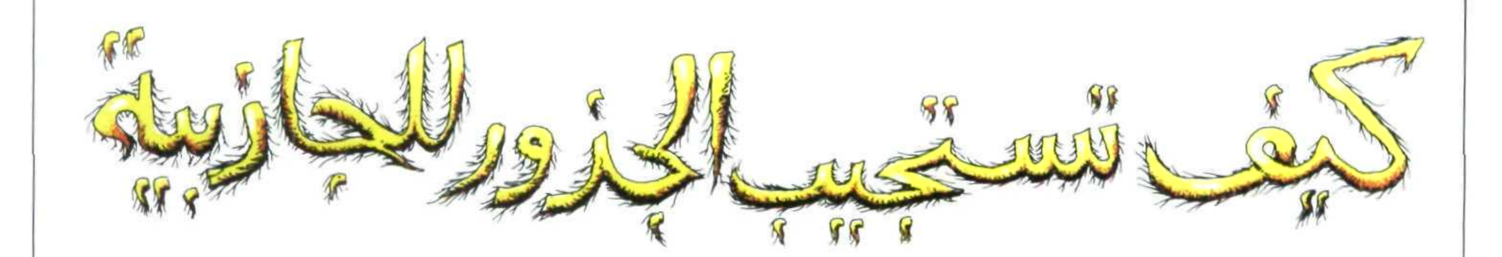
وكما تزهد حمزة شحاتة واعرض عن نشر دواوينه وسائر انتاجه الأدبي، فكذلك كان صنيعه برسائله، ويبدو أن فكرة نشر هذه الرسائل قد راودت ابنته يوما ما، اعجابا منها وتقديرا لقيمتها الادبية. وما يكاد الأديب يرى من ابنته رأيها حتى تشتعل نفسه، فيهاجم الفكرة بأسلوبه المعهود، في سخرية وفكاهة وتفلسف وزهادة، فيقول في الرسالة الثانية والخمسين: «من الذي ناشدك نشر رسائل ابوكي وابو ابوكي.. الحقيه بالرعيل الأول من حمقى التاريخ البشري». ويقول: «أقول لك الحق.. التفكير في نشر الرسائل بلاهة ان لم يكن انحرافا في التفكير».

وفي الرسالة التاسعة والثلاثين يقول: والآن الى حساب حماقتك.. تنشرين رسائل؟ هل أنا عملت لك حاجة؟؟ هل أنا نهرو؟ او تولستوي؟ أو نابوليون؟... اما جنان بصحيح!! رسائل ايه، وخبص ايه وليه؟ انت عاوزه اني أصبح نكتة القرنين العشرين واللي بعده؟.. يا هوه يا عالم! شوفو بنتي الطيبة بتفكر لي في ايه؟ ده أكبر مجنون في التاريخ أعقل عقلائه بالنسبة لك.. أتوب والله اتوب.. وابقى طوع جنانك.. بس اعتقيني من حكاية النشر دي، والله يعتق رقبتك من النشر والنار».

لقد آن لأجيال المثقفين أن يجمعوا أدب حمزة شحاته: نثرا وشعرا جمعا مستقصيا موثقا، من أوراق الصحف والمجلات في السعودية ومصر، ومن صفحات الكتب التي انتثرت بين دفاتها اشعاره ومنثوره، ليكون تراثه مكتمل الصورة، وبذلك تكتمل حلقة مفقودة في بيئة الحجاز الأدبية □

تنويـــه

ورد خطأ سهوا في الصفحة ١٩ من عدد شعبان ١٤٠٧هـ ضمن «مؤلفات الأنصاري» — «الملك فيصل في مرآة الشعر»، والصواب هو «الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر»، فنرجو المعذرة.



كيف تستجيب الجذور للجاذبية

ابراهيم أحمد الشنطي/ هيئة التحرير

قبل نحو قرن من الزمن اكتشف علماء النبات أن الجذر إذا ما وضع أفقيا، على جانبه، سرعان ما ينحني إلى أسفل، استجابة للجاذبية. لكن ادراك الحركة الآلية الكامنة وراء هذا السلوك لم يبدأ الآ في الوقت الحاضر. ولذا فإن موضوع هذا البحث يتناول فقط الطرف النهائي للجذر، بل وينحصر في آخر اثني عشر مليمتراً منه.

في الفضاء الخارجي، حيث تنعدم الجاذبية، لا يوجد هناك فوق ولا تحت. فاذا ما انتقلت نبتة من وضع عمودي، الى وضع أفقي، فان ساقها وجذورها تنمو افقيا بشكل مستقيم، ولا تعود الى وضعها العمودي الأولي كما لو كانت على الارض حيث هي محكومة بالجاذبية. فالنبتة، على الأرض، اذا ما نزعت من التربة والقيت على سطحها فانها سرعان ما تتكيف مع الوضع الجديد تنحني الساق الى فوق وتنحني الجذور الى تحت خلال فترة تتراوح بين ١٠ و٣٠ دقيقة بعد إلقاء تلك النبتة على الأرض.

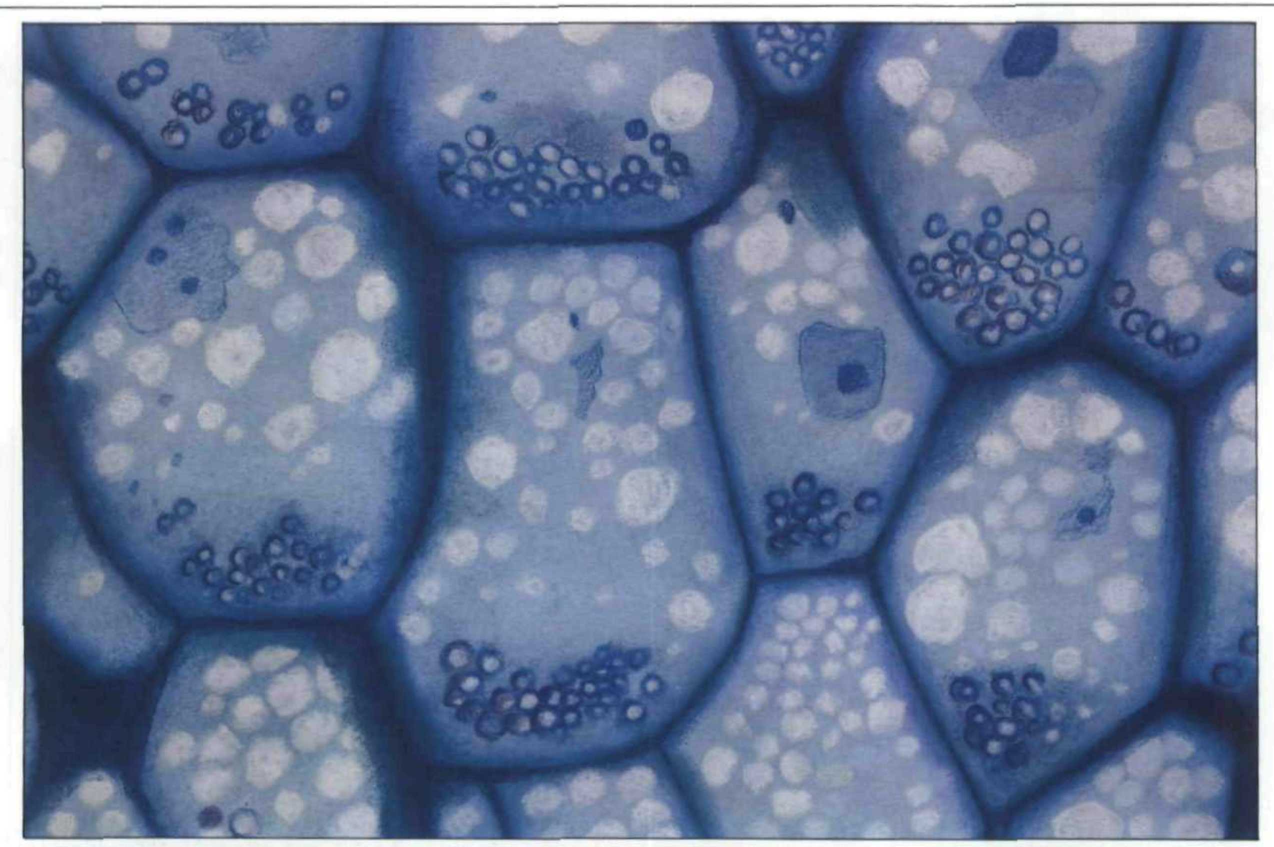
قد يظن الملاحظ العادي ان انحناء الجذور الى تحت جرى بحكم بحث النبتة على الماء والغذاء او بحكم استجابة النبتة لفعل الجاذبية. والظن، في كلا الحالين خاطىء. فجذور بعض النباتات تبحث فعلا عن الماء، لكن تأثير الجاذبية على اتجاه الجذور له وضع مستقل. والجذور القوية القادرة على اختراق التربة المتماسكة قادرة ايضا على مقاومة شد الجاذبية لها. اجتذاب الجذور ينتج عن عملية أخرى مختلفة.

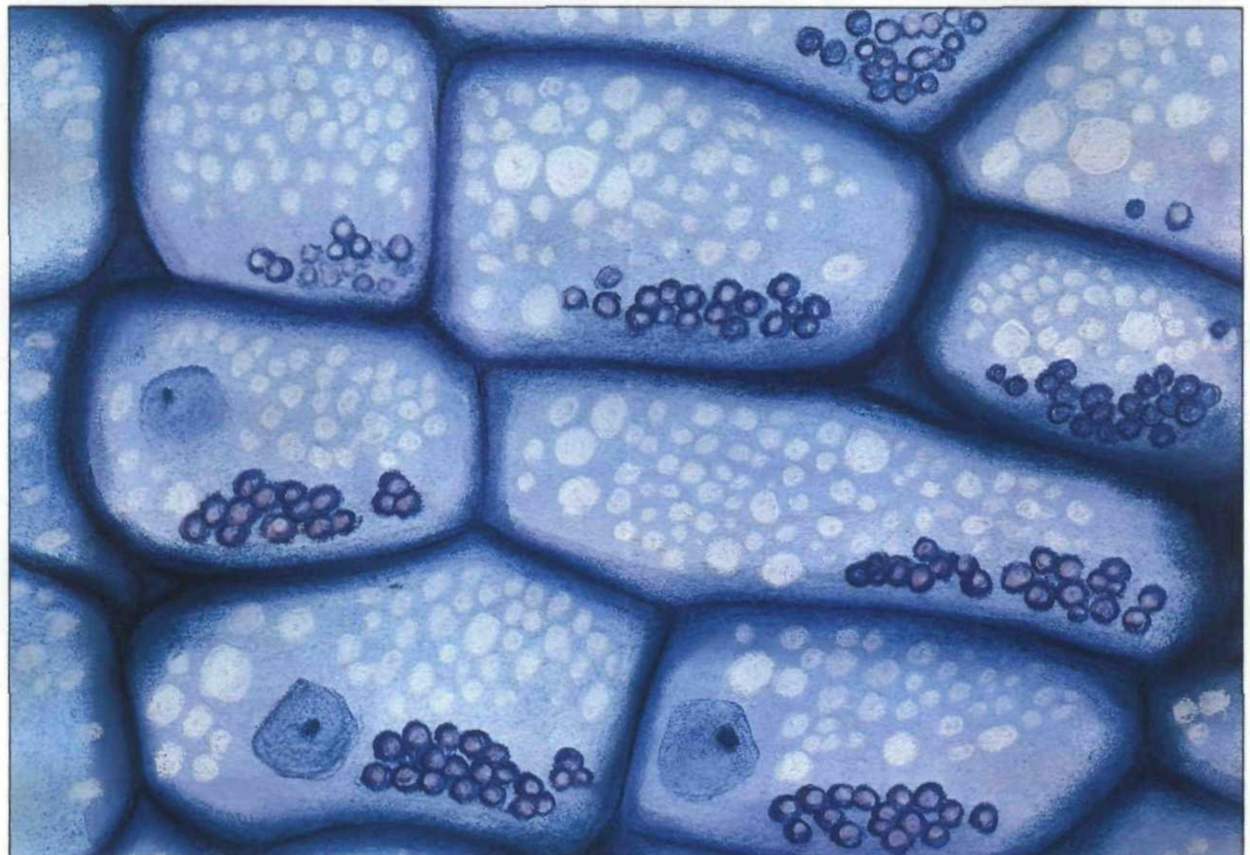
لقد حاول علماء النبات الكشف عن قانون هذه العملية، قبل مجيء « تشارلز داروين» الذي نشر عام ١٨٨١ كتابا عن «قوة الحركة في النباتات» وضمنه وصفا مفصلا للجاذبية. وقد ظل العلماء على هذا الوضع حتى جاء برنامج الفضاء، مع مطلع الستينات من هذا القرن، حيث تم دعم وتمويل الأبحاث عن تأثير الجاذبية وعدمه، الأمر الذي أدى الى تحقيق تقدم ملحوظ في معرفة العملية التي تكمن خلف الجاذبية في جذور النبات.

ويمكن تقسيم العملية الجاذبية — Gravitropism في النبات الى ثلاث مراحل: الأولى، الادراك الحسي — Perception ، والثانية، التحول — Transduction ، اما الثالثة فهي الاستجابة — Response ويكون الادراك الحسي الاولي للجاذبية في الجذور وخاصة في الغطاء النهائي للجذر أو في نصف المليمتر الأخير منه. وتظهر الاستجابة، في منطقة ما، بعد هذا الجزء، حيث يبدأ الجذر بالانحناء الى أسفل. اما التحول فمرحلة تربط بين الغطاء ومنطقة الانحناء، وهي تشكل نوعا من الاتصال بينهما. وكما نلاحظ ، هناك تداخل بين المنطقتين، منطقة الانحناء ومنطقة التحوُّل، ولم يبدأ العلماء بتحليل هذا التداخل ومعرفة طبيعته الا من وقت قريب.

ومع ذلك فما زالت عملية ادراك الجذر للجاذبية غير معروفة بصورة دقيقة. وقد اشار «داروين» عام ١٨٨١م فيما كتب عن احتمال كون غطاء نهاية الجذر هو الجزء الحساس المُدرك للجاذبية، اذ أن لدى هذا الجزء من الجذر، القدرة على توجيه حركة الأجزاء الأخرى المجاورة له. وقال ان الغطاء أشبه ما يكون بالدماغ في الحيوانات الدنيا، حيث يكون الدماغ في الطرف الامامي للجسم، فهو الذي يستقبل الانطباعات من الاعضاء الحساسة، ثم يقوم بتوجيه الحركات المختلفة. وكان «داروين» من أوائل الباحثين الذين وجدوا أن ازالة غطاء نهاية الجذر تفقده القدرة على الاستجابة للجاذبية. وقد أكد هذه الملاحظة باحثون آخرون واضافوا اليها، ان تركيب غطاء نهاية جذر على جذر آخر أزيل منه غطاء نهايته يعيد اليه الجاذبية.

ويعتقد معظم الباحثين أن الجزء الحساس للجاذبية في غطاء الجذر، وهو ما يعرف باسم «العمود — Columella ، غني بالنشا والخمائر. وخلال ثوان، من تهيئة الجذور للجاذبية، تبدأ المكونات النشوية — Amyloplasts ، في خلايا ذلك الجزء بالترسب بسرعة في الجدار السفلي الجديد للخلية.





كان يظن العلماء ان الخلايا الكائنة في وسط غطاء نهاية الجذر هي التي تكتشف الجاذبية. ثم تبين أن الجذر عندما يكون في وضع عمودي (الصورة العليا) فان المكونات النشوية الكثيفة (البقع السود ذات النقاط البيض) تترسب في أسفل الخلايا. ووجد أن الجذر عندما يكون أفقيا (الصورة السفلى) فان الجاذبية تجعل المكونات تترسب بسرعة في الناحية التي تصبح، فيما بعد، الجانب السفلي من الخلية. ويبدو أن هذه الترسبات تحدث تغيرات تؤدي في النهاية الى انحناء الجذر الى أسفل باتجاه الجاذبية.

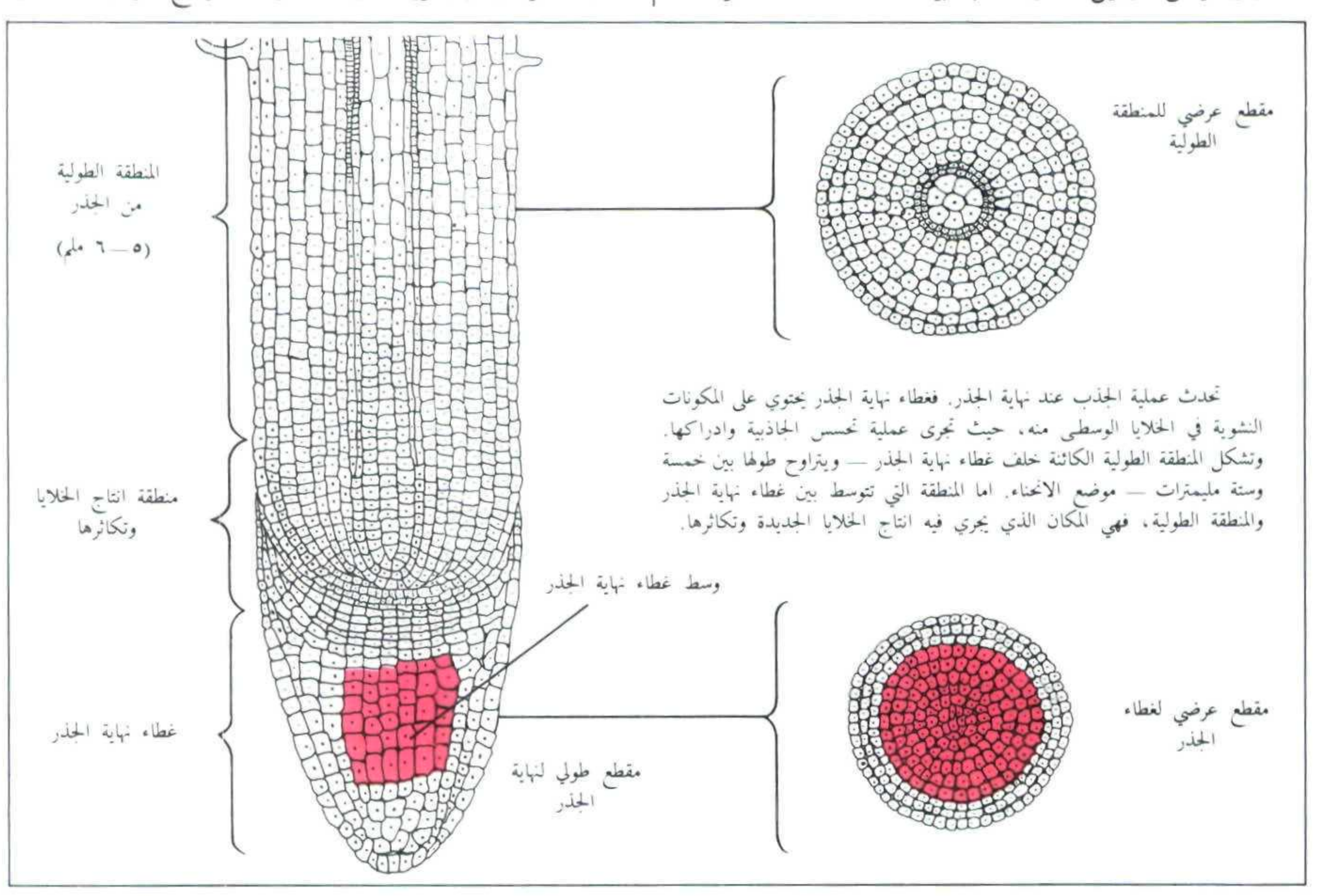
وهناك دليل ثابت، وهو أن تحرك المكونات النشوية يشكل الاحساس الاولي بالجاذبية. وقد ظهر، بعد التجربة، ان الجذور التي تفتقر الى المكونات النشوية لا تستجيب للجاذبية. وظهر، في بعض الحالات، أنه بمجرد القاء نبتة على جانبها، لمدة ١٢ ثانية فقط، تبدأ جذورها بالتكيف وتبدأ المكونات النشوية بالتحرك. وظهر كذلك أن الجذور التي أزيلت الاغطية الحساسة من نهاياتها وأصبحت فاقدة الاحساس بالجاذبية، تستطيع استعادة قدرتها على الاحساس بالجاذبية بتشكيل وترسب مكونات جديدة خلال فترة تتراوح بين ١٤ و٢٢ ساعة. وهي الفترة اللازمة للمكونات النشوية الجديدة حتى تتشكل وتترسب في خلايا معينة قريبا من نهاية الجذر الذي فصل عنه غطاؤه.

واذا ما كان ترسب الخمائر والمكونات النشوية في نهاية الجذر هو الذي يؤدي في الحقيقة الى الاحساس بالجاذبية وادراكها، فربما يكون ذلك أولى خطوات الاستجابة للجاذبية السفلية، أما المراحل الأخرى التالية فانها تتم عبر عمليات كيميائية. لكن هناك ملاحظة مهمة يجب أخذها بعين الاعتبار، حيث وجد أن نبتة مختبر ذات خمائر قليلة نسبيا، قد استجابت جذورها للجاذبية بطريقة عادية تقريبا، مما يعني ان الجاذبية قد تحدث في غياب الخمائر والمكونات النشوية عن الجذور أيضا. كما يوحي أيضا بأن الخمائر ربما لا تكون هي المكتشف الاولي للجاذبية في الجذور، أو انه، في حالة غياب الخمائر النشوية، تستطيع الجذور تنشيط كاشف بديل للجاذبية غير معروف لنا حتى الآن.

ومهما يكن البديل لادراك الجاذبية، فان اكتشاف أثرها — وهو هنا انحناء الجذور — يظهر في نمو غير متناسق في المنطقة الطولية من الجذر. وعندما تكون الجذور في وضع عمودي فانها تنمو منتظمة في سائر الاتجاهات. ويحدث عكس ذلك عندما تكون في وضع افقي حيث أن الجانب العلوي من الجذر ينمو أسرع من الجانب السفلي. وهذا البطء في نمو الجانب السفلي يجعل الجذر ينحني الى أسفل.

ومن أجل اكتشاف العامل المباشر لمعرفة أسباب تغير أسلوب النمو قام ثلاثة من العلماء الامريكيين بأبحاث عدة لمعرفة التغير الحقيقي الذي يحدث في الجانبين السفلي والعلوي للجذر على حد سواء آخذين في الاعتبار التغيرات العديدة المحتملة. فهناك من ينظر، على سبيل المثال، الى المتغيرات على نحو التساؤل التالي: هل يزداد معدل النمو على طول الجانب العلوي للجذر بينما يظل المعدل ثابتا على طول الجانب السفلي؟ أم هل يتناقص المعدل في الجانب السفلي بينما يزداد في الجانب العلوي؟ أم أن معدل النمو يزداد في الجانبين لكنه في العلوي أكثر مما هو في السفلي؟ ام أن معدل النمو يتناقص في الجانبين لكنه في السفلي أكثر مما هو في العلوي؟

وعلى ضوء ذلك، قامت احدى الباحثات وتدعى «ايمي نلسن»، تحت اشراف احد العلماء الثلاثة العاملين في المختبر، باجراء اختبار على جذور حبوب الذرة الصفراء. فوضعت عددا من هذه الحبوب في اناء ذي رطوبة عالية تسمح بتوفير البيئة الملائمة لنمو الجذور طبيعيا. كما ازالت المؤثرات التي قد تؤثر على اتجاه نمو الجذر بطريقة غير متساوية، كتوزيع الرطوبة والضوء



تحدث عملية الجذب عند نهاية الجذر. فغطاء نهاية الجذر يحتوي على المكونات النشوية في الخلايا الوسطى منه، حيث تجرى عملية تحسس الجاذبية وادراكها. وتشكل المنطقة الطولية الكائنة خلف غطاء نهاية الجذر — ويتراوح طولها بين خمسة وستة مليمترات — موضع الانحناء. اما المنطقة التي تتوسط بين غطاء نهاية الجذر والمنطقة الطولية، فهي المكان الذي يجري فيه انتاج الخلايا الجديدة وتكاثرها.

والغذاء والحرارة، وذلك للتأكد من أن كل انحناء سيكون ناتجا عن الجاذبية فقط. وقد جعلت «ايمي» الجذر الأبيض لكل بذرة مواجها لخلفية بيضاء، ووضعت حبيبات سوداً، خفيفة جدا، على طول سطح الجذر اللدن بطبيعته. ثم سلطت عليها آلة تصوير تلفازية لترسل صورا واشارات الى آلة حاسبة الكترونية تسجل الحركة البطيئة، للحبيبات السود، التي تحدث خلال عملية نمو الجذر، وتحسب، بالتالي، معدل نمو مختلف اجزاء الجذر قبل وبعد الاستجابة للجاذبية.

وقد وجدت «ايمي» ان عملية الجذب تسبب نقصا في معدل نمو كل من الجانبين، السفلي والعلوي، للجذر. لكن النقص الأكثر يكون في الجانب السفلي، وفي موقع يبعد بنحو ٢ — ٣ ملميترات عن غطاء نهاية الجذر مباشرة. ووجد باحثون آخرون، ممن اجروا تجارب على جذور نباتات اخرى، ان الجانب السفلي للجذر أبطأ نموا من الجانب العلوي له، وهذا ما يسبب الانحناء في الجذور المهيأة للجاذبية — Gravistimulated . والسؤال الآن، ما هو السبب في بطء نمو الجانب السفلي للجذر؟

ان نمو خلايا النبات يعتمد اجمالا على الهرمونات، الأمر الذي يوحي بأن هناك، في الجانب السفلي من الجذر، تجمعا مكثفا من الهرمونات المعيقة للنمو. وهناك بعض الافتراضات تشير الى أن ذلك الهرمون المعيق ربما يكون نوعا من الحوامض التي تتشكل طبيعيا في الجذور. وقد ظهر أن هذا الهرمون الحامض — Abscisic Acid اذا ما توفر بجرعات كبيرة حول الجذور فانها تمتصه لكنه بالتالي يعيق نموها. ففي جذور بعض حبوب الذرة الصفراء، التي لا تبدي تجاوبا مع الجاذبية في الظلام، وجد أن تسليط الضوء على غطاء نهاية الجذر يحفز عمل الجاذبية فيه خلال ساعة فقط. كما وجد، لدى اختبار الجذر في تلك الفترة، ان معدل تكوين ذلك الهرمون الحامضي، في غطاء نهاية الجذر، قد ازداد.

وعلى الرغم من هذه النتائج، فان البراهين الحديثة قد دلت على أن نظرية الهرمون الحامض غير صحيحة. فقد ظهر لأحد العلماء الثلاثة القائمين على هذه التجربة، ويدعى «مايكل ايفانز»، أن الهرمون يعيق امتداد الجذور فقط عندما يتوفر، حول الجذور، بجرعات تزيد على ما يعتقد بأنها تتوفر طبيعيا. أما «راندي مور»، أحد زميلي «مايكل ايفانز»، فقد وجد أن بذور الذرة الصفراء المستنبتة في مكان يتوفر فيه الحامض المعيق لنمو الجذور قد استجابت للجاذبية وانحنت الى أسفل. كما وجد أن جذور بذرة الذرة، غير القادرة على تشكيل الحامض المعيق للنمو، قد استجابت أيضا للجاذبية. وبالاضافة الى ذلك، وجد «ايفانز» ان الجذور، التي سبق ان غمرها في هرمون حامض ذي كثافة عالية، قد انحنت الى أسفل عندما استثيرت للجاذبية. والنتيجة الأخيرة مهمة، لأنه من غير المقبول أن يستطيع هرمون محفز للجاذبية، بمفرده، استمالة جذور جرى غمرها بحامض معيق لنموها.

وهناك دليل قوي يشير الى أن الهرمون المسمى أكسن — Auxin ، له قدرة على التحكم في انحناء الجذور باتجاه الجاذبية. وهذا الهرمون، مشابه للهرمون الحامض المذكور آنفا، وهو يتكون طبيعيا في الجذور ويعيق نموها بقوة، حتى وان كانت كثافته تقل من ١٠٠ الى ١٠٠٠ مرة عن الكثافة التي يكون فيها الهرمون الحامض مؤثرا. وفي الجذور التي فقدت الاستجابة للجاذبية — بازالة غطاء نهاية الجذر — ظهر أن هرمون «اكسن» اذا ما توفر بجرعات صغيرة على جانب المنطقة الطولية للجذر يستطيع أن يحفز الجذر على الانحناء باتجاه الجانب المتوفر فيه، وهذا كشف يوحي بأن أي زيادة في وجود هرمون «اكسن» في الجانب السفلي، للجذر الافقي الوضع، كفيلة بالتسبب في انحنائه الى أسفل.



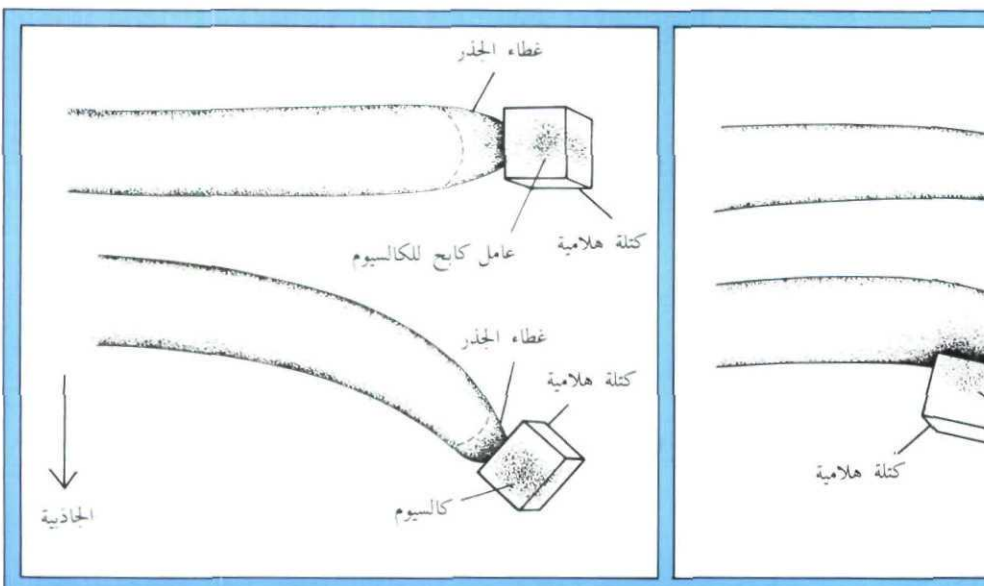
جذران لنبتة ذرة، العلوي أزيل منه غطاء نهايته، والسفلي غطاؤه فيه. وهنا تظهر أهمية وجود الغطاء في عملية الجاذبية. عند ازالة الغطاء ينمو الجذر طبيعيا لكنه لا ينحني الى أسفل اذا ما وضع في وضع أفقي. وعلى النقيض، فان الجذر ذا الغطاء ينحني الى أسفل حتى وان أعيد توجيهه واختلف وضعه.

وفي تجربة أخرى وُضع هرمون «اكسن» على امتداد الجزء الطولي للجذر، فما كان من هذا الهرمون الا أن تحرك الى الجانب السفلي من الجذر، الأمر الذي يوحي بأنه الهرمون، الذي يتوفر طبيعيا، ويتجمع عادة في الجانب السفلي للجذر. وللتدليل على أن هرمون «اكسن» هو الدافع الحقيقي لانحناء الجذر تبعا للجاذبية، يصبح من الضروري معرفة أن هرمون «اكسن» الطبيعي يتجمع في الجانب السفلي من الجذر ومباشرة قبيل بدء عملية الانحناء وهذا ما لم يكتشفه العلماء حتى الآن.

واذا كان ترسب المكونات النشوية في وسط غطاء نهاية الجذر يفسر احساس الجذر بالجاذبية، واذا كان ازدياد هرمون «اكسن» في الجانب السفلي من الجزء الطولي للجذر يعلل ايضا استجابة الجذر للجاذبية — في نهاية الأمر، فما هو، اذن، الرابط بين هذين الحدثين؟

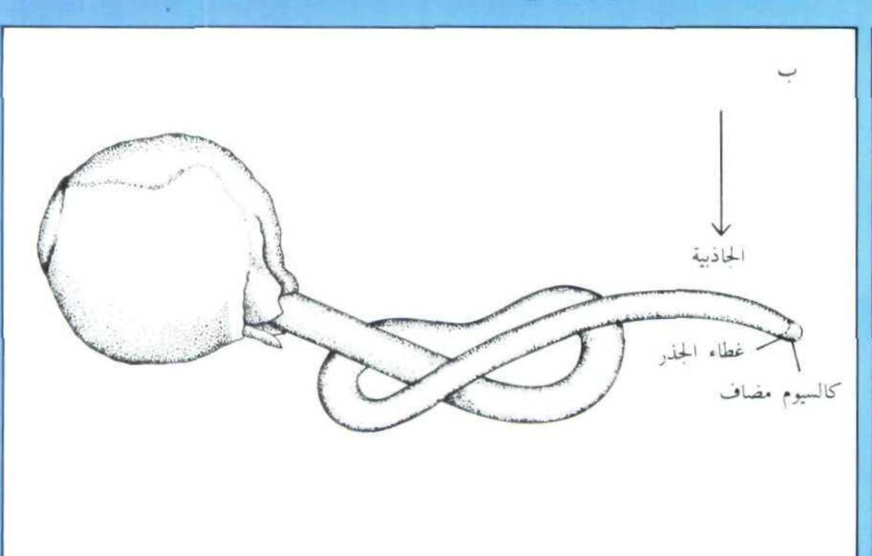
المعلومات التي توفرت، مؤخرا، للعلماء جعلتهم يفترضون ان ترسب المكونات النشوية يزيد في اطلاق ايونات الكالسيوم — Calcium Ions من الخلايات الموجودة في وسط غطاء نهاية الجذر وعلى امتداد الجانب السفلي منه. وهذا الكالسيوم المنطلق ينشط، بدوره، نظام انتقال الكالسيوم وهرمون «اكسن» من خلية الى خلية باتجاه الجانب السفلي لغطاء نهاية الجذر. وهنا يؤدي توفر الكالسيوم في أسفل الغطاء الى تسهيل انتقال هرمون «اكسن» من الغطاء الى الجانب السفلي من المنطقة الطولية للجذر.

وقد ظن العلماء، في الوهلة الأولى، ان انطلاق وتحرك الكالسيوم المخزون ربما كان الخطوة الاولى المهمة في مرحلة ايصال الجاذبية للجذر. وقد جاء هذا الظن في الستينات والسبعينات عندما جرى نشر العديد من الابحاث التي تقول بأن الكالسيوم يتحرك من خلية الى خلية عندما يستجيب شطء النبتة (أول ما ينبت منها) للجاذبية. وأظهرت التجارب أن الكالسيوم ينتقل الى الجانب العلوي من الشطء المهيأ للجاذبية قبل أن يبدأ ذلك الشطء بالانحناء الى أعلى.



جذران لنبتة ذرة نزع غطاءاهما. يبين العلوي منهما ان الجذر لا يستجيب للجاذبية اذا ما نزع غطاؤه. لكنه عندما وضعت بجانبه كتلة هلامية مشبعة بهرمون «اكسن» انخفض معدل نمو ذلك الجانب عن معدل الجانب الآخر ثم انحنى حول الكتلة. وهذا يدل على أن التوزيع، غير المتساوي، لهرمون «اكسن» يؤدي الى نمو غير متناسق في المنطقة الطولية من الجذر.

فوق: جذر نبتة ذرة وضع امامه كتلة هلامية فيها عامل كابح للكالسيوم. هذا الجذر ظل ينمو أفقيا عندما وضع على جانبه، لأن العامل الكابح يحول دون انتشار الكالسيوم استجابة للجاذبية. ولما استبدلت الكتلة الهلامية المحتوية على العامل الكابح بأخرى تحتوي على كالسيوم استعاد الجذر استجابته للجاذبية، كما يبدو في الرسم السفلي. هذه التجربة تدل على أن الكالسيوم المتحرك في غطاء نهاية الجذر ضروري لتوفير قابلية الجذر للجاذبية.



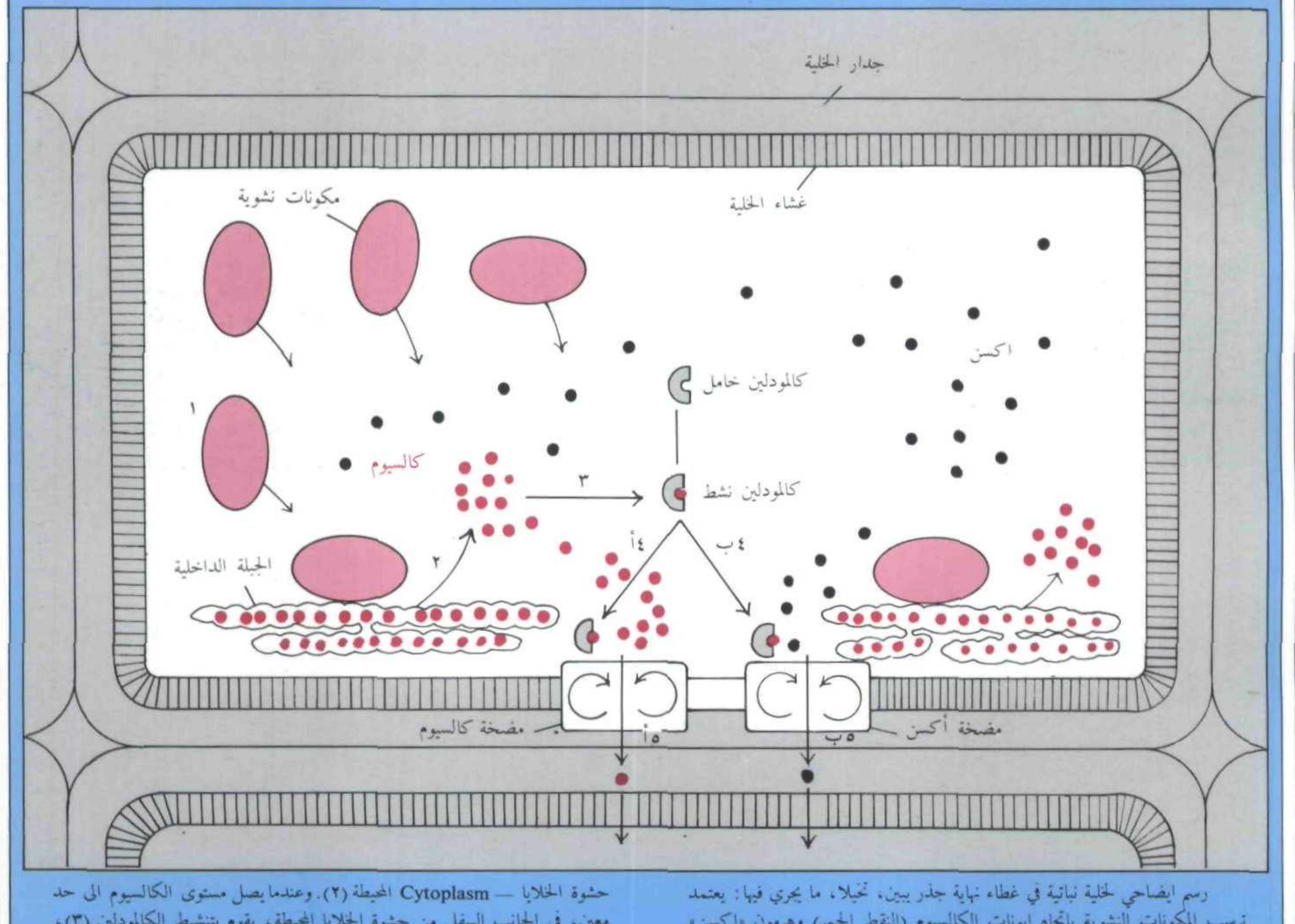
جذر نبتة، في وضع عمودي، انحنى طرفه باتجاه كتلة هلامية مشبعة بالكالسيوم. ولما نقلت الكتلة الى الجانب الآخر اتجه الجذر نحوها (الشكل أ). ولما تكررت التجربة (الشكل ب) ونقلت كتلة الكالسيوم من اليمين فالشمال فاليمين وهكذا، فقد أمكن

تشكيل جذر ملتو ذي عدة انحناءات. من هذه التجربة يتبين لنا أن توزيع الكالسيوم، بشكل غير متساو، في غطاء نهاية جذر مهيأ للجاذبية — وبزيادة خاصة على امتداد الجانب السفلي منه — يساعد في انحناء الجذر الى أسفل في المنطقة الطولية له.

وللتأكد من صحة هذا الافتراض قام طالبان من قسم الدراسات العليا، ممن يعملون مع «ايفانز»، باضافة مادة كيميائية «EDTA» تشل حركة الكالسيوم، على أغطية رؤوس جذور نباتات الذرة الصفراء. فكانت النتيجة ان الجذور المعالجة بهذه المادة الكيميائية قد استمرت في معدل نموها الطبيعي، لكنها فقدت استجابتها كليا للجاذبية. وعندما ازيلت المادة الكيميائية واستبدلت بالكالسيوم استعادت الجذور قدرتها على الاستجابة للجاذبية. وهذا دليل قوي على أن الكالسيوم الطليق المتحرك في الجذور ضروري لاستجابة تلك الجذور للجاذبية. وقد عززت هذه النظرية دراسات أخرى أظهرت أن معالجة الجذور بمواد تمنع الكالسيوم من الحركة تستطيع ايضا الغاء الجاذبية.

في تلك الأثناء قام العالم الكوري «جون لي»، الاستاذ بجامعة «كانج ريونج» الوطنية في كوريا، بزيارة لجامعة ولاية اوهايو في الولايات المتحدة الامريكية، واطلع على تجربة الطالبين السالفة الذكر، وتابع الدراسة من حيث انتهيا. فقام أولا بدراسة على الجذور غير المهيأة للجاذبية فوجد أن للكالسيوم تأثيرا قويا في اتجاه نمو الجذور، ولما استخدم الكالسيوم، بدون انتظام، حول غطاء نهاية الجذر وجد أنه ينحني باتجاه الموضع الأكثر كثافة بالكالسيوم. وظهر له كذلك انه اذا ما وضع الكالسيوم باستمرار على جانب واحد من غطاء نهاية جذر موجه عموديا، فان الجذر ينحني في حلقة كاملة — ٣٦٠ درجة. وبما أن الجذور المهيأة للانحناء تنحني الى أسفل، فان ذلك الانحناء ربما يكون ناتجا عن ازدياد الكالسيوم في أسفل غطاء الجذر، وانه ربما ترسب تبعا لحركة الكالسيوم الى أسفل.

ثم ظهر للاستاذ «جون لي» ان الكالسيوم يمكن، في الواقع، أن يتحرك باتجاه الجزء السفلي من الغطاء نفسه. وهنا وضع الكالسيوم المشع، بالتساوي، حول جذور نبتة من الذرة الصفراء، ووجه بعض الجذور عموديا وبعضها أفقيا، ثم أخذ يقيس تحركات الايونات المشعة، فظهر له أن الكالسيوم المشع قد بقي متساوي التوزيع في الجذور الموجهة عموديا. اما في الموجهة



رسم ايضاحي لخلية نباتية في غطاء نهاية جذر يبين، تخيلا، ما يجري فيها: يعتمد ترسب المكونات النشوية باتجاه ايونات الكالسيوم (النقط الحمر) وهرمون «اكسن» (النقط السود) في غطاء نهاية الجذر المهيأ للجاذبية على «الكالمودلين — **Alkalmodlin**» وهو منشط فعال للخمائر في خلايا النبات والحيوان. وعندما يوضع الجذر على جانبه تترسب المكونات النشوية في الجانب السفلي من كل خلية حيث تتصل بالجبلة أو الشبكة الداخلية — **Endoplasmic Reteculum**، وهي غشاء غني بالكالسيوم (١). ونتيجة لضغط المكونات النشوية على الشبكة الداخلية، فان غشاء الخلية يطلق الكالسيوم في حشوة الخلايا — Cytoplasm المحيطة (٢). وعندما يصل مستوى الكالسيوم الى حد معين، في الجانب السفلي من حشوة الخلايا المحيطة، يقوم بتنشيط الكالمودلين (٣)، الذي ينشط بدوره نوعين من الخمائر في الجانب السفلي من الخلية وهما: مضخة كالسيوم (٤أ) ومضخة اكسن (٤ب). وهنا تقوم مضخة الكالسيوم بضخ الكالسيوم الزائد الى جدار الخلية (٥أ) وكذلك تفعل مضخة «الاكسن» بالزائد منه (٥ب). وبطريقة ما ينتقل الكالسيوم والاكسن عبر الخلايا التحتية باتجاه الجانب السفلي من غطاء طرف نهاية الجذر.

افقيا فان الكالسيوم المشع قد بقي متساوي التوزيع في الجذور الموجهة عموديا. اما في الجذور الموجهة أفقيا فان الكالسيوم المشع قد تحرك باتجاه الجانب السفلي من الجذر. ووجد أن هذا التحرك الاتجاهي كان قويا خاصة في غطاء نهاية الجذر.

وجاءت دراسة اخرى، مختلفة كليا، لتعزز الرأي القائل بان الكالسيوم يتحرك الى أسفل في الجذور المهيأة للجاذبية. فقد اتضح لعدد من العلماء، في جامعة بون، باستعمال مجسات كهربائية دقيقة وضعت على مقربة من جذر عمودي لنبتة «رشاد — Cress» ان هناك تيارا كهربائيا يسري بانتظام عبر سطح الجذر باتجاه طرفه الدقيق. وعندما وضع الدارسون الجذر في وضع أفقي، وجدوا أن التيار قد فقد انتظامه وخاصة في الجانب العلوي من غطاء نهاية الجذر حيث تدفق التيار خارجا، بينما التيار الذي يسري في الجانب السفلي من الجذر يتدفق داخل الغطاء. كما وجدوا دليلا على أن سيلا من ايونات الهيدروجين هو الذي يحمل التيار الكهربائي.

وقد أكدت دراسة صدرت من جامعة «كورنل»، الملاحظات السابقة من خلال تجربة أجريت على جذور نباتات الذرة الصفراء. فقد ظهر انه خلال فترة تتراوح بين دقيقتين وست دقائق، عقب توجيه الجذور أفقيا، يبدأ اتجاه التيار — في غطاء نهاية الجذر — بالتغير، فيتحرك الى أعلى ثم الى الخارج من خلال الجزء العلوي للغطاء. وتشير الدراسة الى أن تدفق ايونات الهيدروجين الى أعلى يمكن أن يعكس، بصورة غير مباشرة، جريان ايونات الكالسيوم الى الجانب الأسفل من الغطاء. ومن أجل المحافظة على التوازن الكهربائي، يقوم الغطاء بموازنة حركة الكالسيوم هذه بسيل مضاد من شحنات أخرى سالبة كأيونات الهيدروجين مثلا. واذا ما كان التيار الصاعد يعكس، حقيقة، حركة الكالسيوم، فان توقيت هذه الحركة يوحي بأنها تنتج عن ترسب المكونات النشوية، حيث أن تحرك الكالسيوم يعقب الترسب مباشرة ويسبق انحناء الجذر الى أسفل.

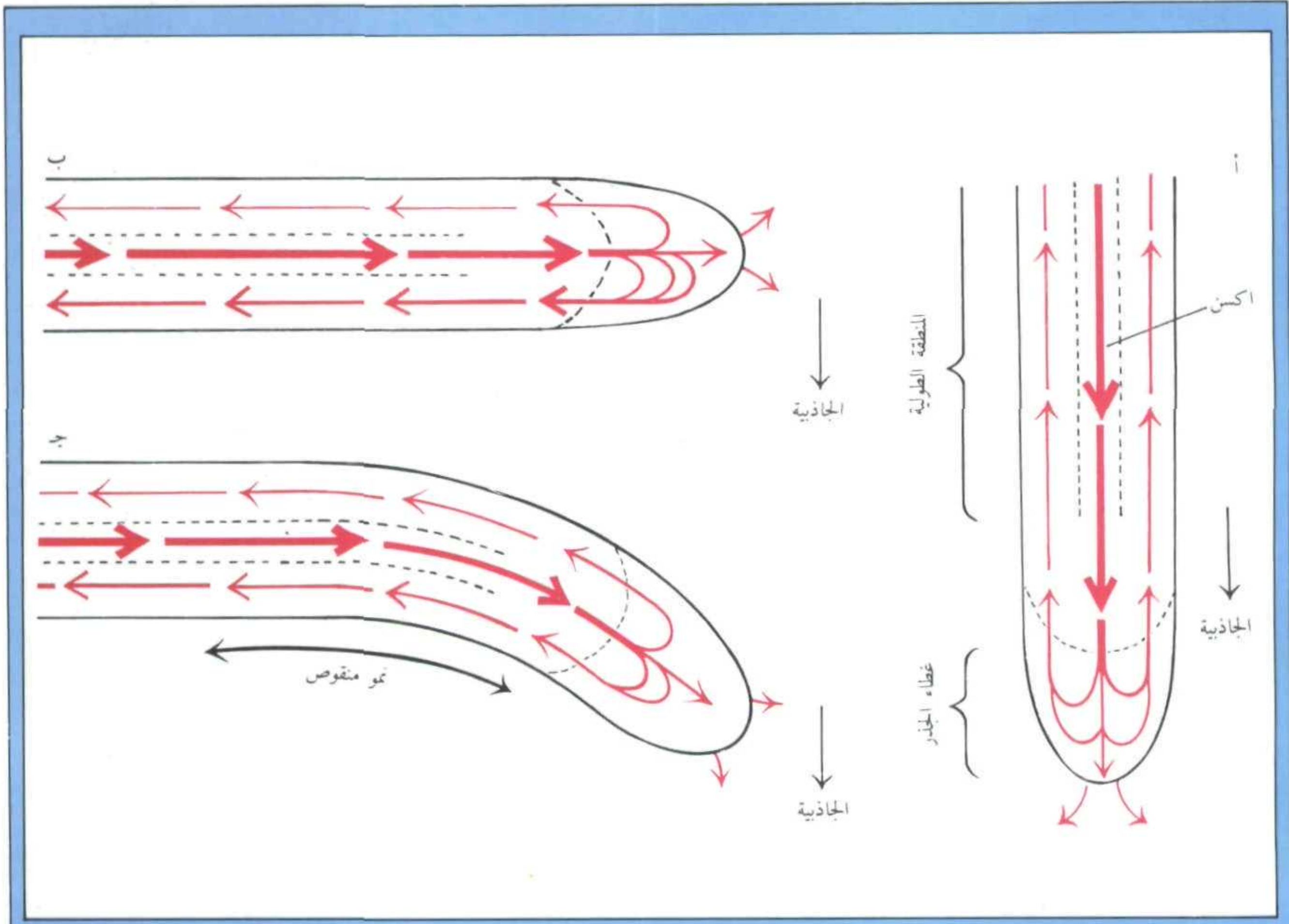
أمّا كيف يثير ترسب المكونات النشوية عملية تحرك الكالسيوم، وكيف يتجمع الكالسيوم على امتداد الجانب السفلي للغطاء فأمر غير واضح الى الآن. غير أن «باربرا بكارد»، من جامعة واشنطن في مدينة سانت لويس، ترى في ذلك نظرية معقولة تتفق مع ما توصلت اليه الدراسة الصادرة من جامعة كورنل. فهي ترى أن ضغط المكونات النشوية على تجمع الخلايا، الغنية بالكالسيوم، يؤدي الى هروب ايونات الكالسيوم من التجمع فينتج ارتفاع موضعي في مستوى الكالسيوم، على امتداد الجانب السفلي للخلايا.

لكن العلماء القائمين على هذه الدراسة يرون أن الكالسيوم عندما يصل الى مستوى معين فان الايونات تنشط بروتين «الكالمودلين — Calmodulin» المعروف عنه بأنه منشط قوي لعدد من «الخمائر — Enzymes» الضرورية لعمل الخلايا، ليس فقط في النباتات بل وفي الحيوانات وحتى في بعض المايكروبات العضوية. والظاهر أن هذا البروتين، عندما ينشط، فانه يحفز حركة الكالسيوم بتشغيل مضخات للكالسيوم، وهي خمائر — Enzymes كبيرة يظن انها تتخلل غشاء الخلية. ثم تقوم مضخات الكالسيوم، الواقعة في أسفل الخلية، بنبذ الكالسيوم الزائد، الذي يتجمع على امتداد الجانب السفلي، من غطاء نهاية الجذر في نهاية الأمر.

والظاهر من التجربة السابقة أن «الكالمودلين» متوفر في غطاء الجذر. وقد أكد أحد الطلاب العاملين في المختبر وجوده في جذور الذرة، وأوضح أن كثافة «الكالمودلين» في غطاء الجذر يساوي أربعة أضعاف كثافته في المنطقة الطولية للجذر. وزيادة في الدور الكامن «للكالمودلين» في عملية الجاذبية، وجد الطالب أن وجود «الكالمودلين» ربما يكون ضروريا في غطاء الجذر لتكملة عملية الجذب. فعندما أضاف الطالب مادة تكف «الكالمودلين» عن العمل في أغطية الجذور، وجد أن الجذور قد تأخرت عن الانحناء والاستجابة للجاذبية.

وبقي أجل تفسير الخطوات المتبعة في عملية الاستجابة للجاذبية — وهي تحرك «الاكسن» نحو الجانب السفلي لغطاء نهاية الجذر وكذلك للجانب السفلي من المنطقة الطولية للجذر، يجب أن نعرف أولا ما كان يُظن بأنه التحرك الاعتيادي «للاكسن» خلال الجذر. ففي الجذور الموجهة عموديا يتحرك «الاكسن» باتجاه غطاء نهاية الجذر عبر لب المنطقة الطولية للجذر، كما أن بعض الاكسن المتحرك نحو الغطاء اما ان يؤيض — وهي عملية كيميائية تحدث في الخلايا الحية لتأمين الطاقة اللازمة لها — واما أن يمر عبر الطرف النهائي الى وسيط النمو. وفي الوقت نفسه يتجه بعض روافد «الاكسن» الى جوانب الغطاء حيث تجري اعادة توجيهها الى المنطقة الطولية من الجذر عبر خلايا تقع في الحواف الجانبية للجذر. وهذه الحركة المتسقة تجعل الجذر العمودي ينمو باتجاه مستقيم. (طالع الرسم التوضيحي رقم — ٧).

كذلك وجد «كارل هاسنشتاين»، وهو أحد العلماء الثلاثة المشرفين على هذه الدراسة، ان حركة «الاكسن» تتغير في أغطية نهايات الجذور المهيأة للجاذبية. وحسب المعلومات الحديثة التي جمعها يبدو أن مادة «الكالمودلين» التي أثارها الكالسيوم في الخلايا الكائنة وسط الغطاء لا تنشط مضخات الكالسيوم في أقصى الجزء الأسفل من غشاء الخلية فقط، وانما أيضا تنشط مضخات «الاكسن»، المعروف أنها موجودة في أغشية النباتات ذات الخلية. وبناء على هذا، يرى العلماء ان هذه المضخات تنقل «الاكسن» عبر الجانب الأسفل من الخلايا الكائنة وسط الغطاء، ولذا فان كثيرا من «الاكسن»، الداخل الى غطاء نهاية الجذر من المنطقة الطولية للجذر، يجري منحدرا الى الجانب السفلي من الغطاء بدلا من أن ينقسم بانتظام بين الجانبين العلوي والسفلي، وانهم يرون ان الكثافة المرتفعة للكالسيوم في الخلايا على امتداد الجانب السفلي من غطاء نهاية الجذر تعزز، بطريقة ما، معدل جريان «الاكسن» في الجانب السفلي من الغطاء عائدا الى



يبين هذا الشكل كيفية تحرك الاكسن — في جذر عمودي الوضع — عبر المنطقة الطولية باتجاه غطاء نهاية الجذر مرورا بالجزء الاوسط من الجذر. وعندما يدخل هرمون أكسن الى منطقة الغطاء يتجه جزء منه نحو طرفه الاقصى خارجا منه، بينما يتحول الجزء المتبقي الى الجوانب ويتدفق بطريقة متسقة عائدا الى المنطقة الطولية.
(ب) عندما يكون الجذر في وضع افقي يغدو اسلوب تدفق الاكسن غير متسق، حيث يتجه الجزء الأكبر منه الى الجانب السفلي من الغطاء ويجري عائدا الى المنطقة الطولية للجذر. وسبب ذلك، كما يبدو، هو الكالسيوم الذي يتجمع في الجانب السفلي من الجذر ويزيد في معدل الاكسن العائد الى المنطقة الطولية.
(ج) والنتيجة، ان زيادة الاكسن في الخلايا على امتداد النصف السفلي من المنطقة الطولية تعيق النمو في ذلك الجانب فينحني الجذر الى أسفل.

الجانب السفلي من المنطقة الطولية للجذر.

ونعود الى السؤال القائم منذ أكثر من قرن مضى: كيف تستجيب الموجهة أفقيا للجاذبية؟

يجيب عن ذلك العلماء الثلاثة القائمون على هذه الدراسة وهم: «مايكل ايفانز»، «راندي مور»، و«كارل — هينز هاسنشتاين»، فيقولون: الذي نراه هو أن الجاذبية تسحب المكونات النشوية — Amyloplasts الكائنة في وسط خلايا غطاء نهاية الجذر. وعند هبوط هذه المكونات أو الخمائر على الجبلة الداخلية للخلية — Endoplasmi Reticulum الكائنة في غشاء الجانب السفلي منها، ترفع — هذه الخمائر — مستوى الكالسيوم في الخلية، منشطة بذلك بروتين الكالمودلين الذي ينشط بدوره مضخات الكالسيوم و«الاكسن» في الغشاء — Membrane الكائن في الجانب السفلي من الخلية. وهنا تقوم المضخات بدفع الكالسيوم و«الاكسن» عبر الجانب السفلي من الخلية، ليؤدي ذلك، في النهاية، الى تجمع كثيف من الكالسيوم و«الاكسن» في الجانب السفلي من غطاء نهاية الجذر. وهذه الكثافة المرتفعة من الكالسيوم، في هذا الجزء من الغطاء، تعزز عملية نقل و«الاكسن» عبر قناة تعيده الى الجانب السفلي من المنطقة الطولية للجذر. وهنا يبدأ «الاكسن» باعاقة عملية النمو في الجذور ويسبب انحناءه الى أسفل باتجاه الجاذبية.

وليس عجيبا أن يقود نظام الانحناء، الناتج عن الجاذبية، دائما وفي الأغلب، الى انعطاف الجذر نحو الرطوبة والغذاء. فالنتائج التي توصل اليها هؤلاء الباحثون، ومن سبقهم من علماء النبات، تؤكد الرأي القائل بأن التحكم في تصرف الجذر، للمحافظة على نفسه، انما يكمن في غطاء طرفه. فالباحثون في عملية اجتذاب الجذور، وغير ذلك من سلوكها، لا يرون في تركيب النباتات أعجب، من حيث الأداء والعمل، من الطرف النهائي للجُذَير□

بتصرف عن مجلة: «ساينتفيك اميركان»



نظرات في أدب الأطفال

بقلم: د. محمد علي الهرفي/الدمام

من المتفق عليه ان الاطفال في أي مجتمع هم نواة هذا المجتمع وأساس تكوينه في مستقبل الأيام. فمن هؤلاء الاطفال سيكون العالم والطبيب والمهندس، كما سيكون منهم القائد والمربي والحاكم.

وباختصار، فان مقاليد أي أمة سيتولاها في مستقبل ايامها رجالها الذين كانوا اطفالها. ومن هذا المنطلق تحرص الأمم الواعية على الحفاظ على اطفالها فتعمل على تنشئتهم نشأة سليمة تتفق وعقائد الأمة وما تريده منهم في مستقبل ايامها..

ولهذا، فقد جاء الاسلام ليربي في نفوس معتنقيه الحرص الشديد على تربية الأطفال، وتتبع معهم هذه التربية خطوة خطوة، ورتب عليها الثواب والعقاب.

وعناية الاسلام بالطفولة تبدأ من اختيار الزوجة التي ستكون اما لهؤلاء الاطفال القادمين، وعلى هذا الاختيار ينبني كثير من الأمور التي تتعلق بتربية هذا الطفل والعناية به. وقد جاء في الأثر: «تخيروا لنطفكم فان العرق دساس» وهذا المعنى أشار اليه شاعر بقوله:

وأول احساني اليكم تخيري
لماجدة الاعراق باد عفافها

وبعد ولادة الطفل تأتي مرحلة تسميته، وهذه المرحلة اعطاها الاسلام عناية كبيرة وحذر من التفريط فيها لما لها من تأثير نفسي واجتماعي على المولود عندما يكبر ويمشي بين الناس.

فقد روى ابو داود باسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قوله، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا اسماءكم.**»

ان المتتبع لأخبار الاولين يلمس بوضوح حرصهم على تأديب أولادهم منذ الصغر بشتى أنواع العلوم، وتلقينهم الاخلاق الفاضلة.

فقد روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده الى المؤدب قال له: «ليكن أول ما تبدأ به من اصلاح بني اصلاح نفسك فان أعينهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت وعلمهم سير الحكماء، واخلاق الأدباء، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجّل بالدواء حتى يعرف الداء.»

وروى ابن خلدون في مقدمته ان هارون الرشيد لما دفع ولده الامين الى المؤدب قال له: «ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيِّر يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين: اقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروّه الأشعار، وعلّمه السنن، وبصّره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك الا في اوقاته، ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت



بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة.»

وثقافة الاطفال الأدبية لم تبدأ في هذا العصر وإنما وجدت منذ العصور الاسلامية الأولى، وقد أشار الدكتور نجيب الكيلاني في كتاب له بعنوان: «أدب الاطفال في صدر الاسلام» الى هذا المعنى فقال: «ووجد القصاصون في قصص القرآن الكريم مادة ثرية للاطفال فكانت تروى لهم بصورة مبسطة، وكذلك بعض ما ورد في الاحاديث النبوية ومغازي رسول الله وحروب الصحابة ومن أتى بعدهم، وجهاد المسلمين لنشر الدعوة الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وأخبار العلماء والصالحين والرحالة المسافرين للتجارة، واخبار الأمم الأخرى كذلك.»

كل تلك المصادر أغنت القصص التي تروى للأطفال وخاصة بعد أن امتد الفتح، واتسعت الدولة، وتوفر عدد من المؤلفين المسلمين وكتاب التراث على تسجيل حكايات، وأساطير عن مختلف الأزمنة والأمكنة.

وقد وجدت بعض المؤلفات القديمة التي سجلت حكايات واساطير وقصصا استفاد منها المربون، كما استفاد منها بعض الأمهات والجدات فرحن يروينها لاطفالهن مع تحريف هذه القصص بما يناسب ذوق الطفل وفهمه، وبما يتناسب احيانا مع عقيدته ومبادئه.

ومن هذه المؤلفات: «نهاية الأدب»، و«مختصر العجائب والغرائب»، و«كتاب الاغاني»، و«كليلة ودمنة»، و«الف ليلة وليلة»، وكثير من الوعاظ والصالحين والرحالة وغيرهم.

وفي جزيرتنا العربية انتشرت انواع متعددة من الحكايات لكنها كانت تختلف من بيئة لأخرى، ويبدو أن عوامل البيئة المختلفة كانت تؤثر على هذا اللون من الحكايات.

ففي المناطق الساحلية تكثر قصص الغوص، وعجائب البحار، ومصارعة الغواصين لمخلوقات البحر العجيبة، والأهوال التي يلاقونها أثناء قيامهم برحلات البحث عن اللؤلؤ.

وتتخلل هذه الحكايات الاشارة الى حورية البحر، والى عفاريت السيد سليمان الذين حبسهم في قماقم صغيرة ثم القاهم في البحر، وكما يتخللها كذلك الاشارة الى كلب البحر وفرس البحر وكيف تتعامل هذه المخلوقات مع الانسان.

اما في المناطق الصحراوية فيكثر الحديث عن الكرم وحكاياته المختلفة، كما تشمل هذه الحكايات الوان الحروب التي كانت تحدث بين قبيلة وأخرى وما يحدث فيها من مآس دامية قد تدوم آثارها زمنا طويلا.

لا شك أن هناك ألوانا متعددة من القصص التي كانت تروى للاطفال في جزيرتنا العربية ولا سيما قبيل نومهم، ذلك أنها كانت تنقلهم الى عوالم غريبة لا عهد لهم بها فيحلقون بخيالهم الصغير في هذه العوالم حتى تغمض عيونهم وهم يحلمون بها.

وأدب الاطفال في عصرنا الحديث تغير كثيرا عما كان عليه في السابق وأصبح فنا بذاته له قواعده واصوله ومنهجه العلمي.

وقد بدأ هذا اللون من الأدب على يد الاستاذ كامل كيلاني الذي يعتبر رائد أدب الأطفال حيث ألف وترجم العديد من النماذج الادبية بلغت حوالي مائتي قصة ومسرحية كان في مقدمتها قصصه «من حياة الرسول» وكذلك سلسلة «قالت شهرزاد»، و«جلفر»، و«روبنسن كروزو» وغيرها.

ثم توالت بعد ذلك وفي الوطن العربي كله سلاسل كتب الاطفال وكان منها النافع ومنها غير ذلك.

فقد كتب الاستاذ يوسف العظم سلسلة «مع الجيل المسلم» وكتب الاستاذ عبدالحميد جوده السحار مجموعة من سلاسل قصص الاطفال، وكذلك فعل كل من الاساتذة: محمد عطية الابراشي، ومحمد علي قطب، ومحمد رواس قلعجي، وعلي فكري، وبسام العلي وغيرهم.

كما وجدت مجموعة من المجلات التي تعنى بثقافة الطفل منها «السندباد»، و«ماجد»، و«سمير»، و«بابا صادق»، و«افتح يا سمسم»، و«اروى»، و«الشبل».

انني اعتقد أنه من الضروري ان نجعل الهدف الذي يخدم اهداف الأمة ومعتقداتها واضحا فيما يكتب للأطفال من شتى صنوف المعرفة.

وقد فطن اليهود الى أهمية توجيه اطفالهم الى ما يخدم اطماعهم، وقد أشار الاستاذ يحيى بشير الى هذه الناحية في مقال نشره في «المجلة العربية» في شهر صفر من سنة ١٤٠٥هـ فقال: «وقد جعلوا اناشيد اطفالهم مرتبطة بماض لهم سحيق، وبصور من تراثهم الغابر، وجعلوا من واقع رياض الاطفال محاضن يتنفس فيها الجيل ما يصبون اليه من غلبة وتوسع فأصبح كثير من رياضهم ساحات تجمع فيها المدافع العتيقة، واجنحة الطائرات المبعثرة والمصفحات القديمة يتسلق عليها الاطفال ويلعبون بها لتصبح رؤيتها بعد ذلك أمرا عاديا لا غرابة فيه ولا خوف منه.»

واعتقد كذلك أن أي أديب سيتصدر لمحاولة الكتابة لأطفالنا ينبغي أن يراعي امورا متعددة، منها على سبيل المثال: ملاحظة أن كل مرحلة من مراحل النمو عند الاطفال تختلف عن الأخرى وبالتالي فيلزمه أن يراعي متطلبات كل مرحلة فيما يكتبه، ومنها كذلك الاهتمام قدر الامكان باللغة العربية الفصحى ولا بأس من مراعاة اختيار الفاظ معينة تناسب أعمار الاطفال، ومنها كذلك الالتزام بالنواحي الدينية والاجتماعية والحرص على تأصيل المعاني الخيرة والاخلاق الكريمة في نفوس الاطفال، ومنها كذلك ان تكون مصادر القصة اصيلة تنبع من تراثنا وبيئتنا وتتمشى مع عاداتنا وتقاليدنا النافعة.

وأخيراً فان ادب الاطفال بحاجة الى عناية الدولة ورعايتها في أي جزء من الوطن العربي، ودعمه ماديا ومعنويا بحيث تكون مكانة الأديب الذي يتصدى لهذا العمل مرموقة وبارزة، وحبذا لو تشكلت هيئة من المختصين تكون مهمتها متابعة قرارات أدباء الاطفال ودعمهم وتشجيعهم، وتقديم الخبرات اللازمة لهم حتى نضمن ادبا رفيعا لأطفالنا □

دور القطاع الخاص في تحريك النشاط الاقتصادي في الدول العربية الخليجية

عبد الله الخالد / هيئة التحرير



سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، رئيس الوزراء في دولة البحرين يرعى حفل افتتاح الندوة.

تحت رعاية سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء في دولة البحرين، عقدت في المنامة للفترة من ٢٩ رجب الى ١ شعبان ١٤٠٧هـ الموافق للفترة من ٢٩ الى ٣٠ مارس (آذار) ١٩٨٧م ندوة عن «دور القطاع الخاص في تحريك النشاط الاقتصادي في الدول العربية الخليجية». وقد حضر حفل افتتاح الندوة عدد من الوزراء ووكلاء الوزارات وأعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدين لدى دولة البحرين. كما شارك في أعمال الندوة عدد من محافظي مؤسسات النقد والبنوك المركزية الخليجية ورؤساء مجالس ادارات الغرف واعضائها والفعاليات الاقتصادية بالقطاعين الخاص والعام والهيئات والمنظمات الخليجية بالاضافة الى عدد من ممثلي المنظمات والاتحادات العربية ونخبة متميزة من



سعادة الاستاذ حبيب احمد قاسم يلقي كلمة الافتتاح.

المهتمين بقضايا الفكر والاقتصاد وعدد من أعضاء الوفود الصحفية.

وقد أكدت الكلمات التي ألقيت في مستهل حفل الافتتاح على ضرورة قيام القطاع الخاص بدور متميز في تحريك النشاط الاقتصادي بعد أن هيأت له الحكومات ومؤسسات القطاع العام قاعدة صلبة للعمل تمثلت في تشييد البنى الأساسية، حيث أن الوضع الاقتصادي الحالي يدعو الحكومات الى الاقتصاد في النفقات والى ترشيد أساليب الصرف. وقد أكد سعادة السيد حبيب أحمد قاسم، وزير التجارة والزراعة في دولة البحرين في كلمته على ذلك، حيث قال:

«تنعقد ندوتكم هذه تحت عنوان «دور القطاع الخاص في تحريك النشاط الاقتصادي في الدول العربية الخليجية» ولا نكون مغالين اذا قلنا انه أحد أهم الموضوعات المطروحة على بساط البحث ليس في منطقتنا الخليجية العربية فحسب وإنما في أنحاء شتى من العالم غربية وشرقية على حد سواء.

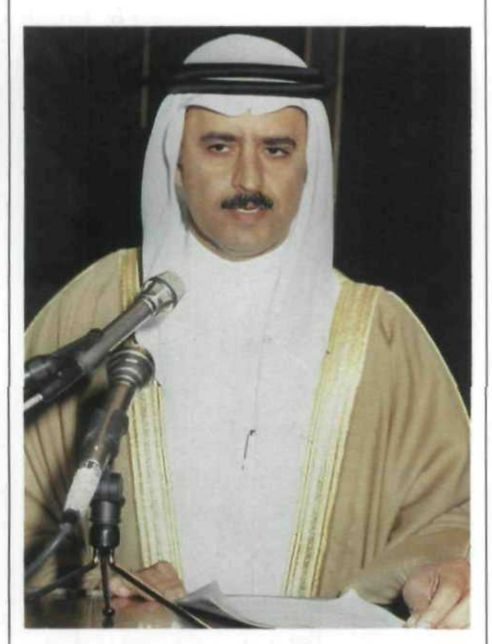
فلقد شهدت منطقتنا —كما تعلمون— حقبة ليست قصيرة من الزمن تميزت بمعدلات نمو عالية لم يسبق لها مثيل كما تميزت باتساع نطاق النشاط الاقتصادي وارتفاع معدلات الانفاق والاستثمار وتمكنت دول المنطقة خلالها من دعم بناء بنيتها الاساسية والتي لا تستقيم أية تنمية اقتصادية بدونها.

ولـم تدخـر حكومـات دول المنطقـة أي جهـد للاستفادة مـن فـترة هـذه الانتعاشة الاقتصادية في سبيل دفع عجلة التنمية بأقصى الامكانات والطاقات في زمن قياسي بكل المعايير بما لم يعرف التاريخ الاقتصادي لأي من بلدان العالم له نظيرا، يحدوها الى ذلك هدف نبيل واحد هو رفع مستوى المعيشة للمواطنين وزيادة الناتج المحلي الاجمالي.

غير أنه، ومنذ سنوات قليلة ونتيجة لاعتبارات خارجية عديدة منها الكساد الاقتصادي العالمي والحرب العراقية الايرانية، وانخفاض أسعار النفط، فقد عشنا حالة من الركود الاقتصادي تتطلب منا وقفة موضوعية نراجع فيها النفس ونأخذ فيها بعين الاعتبار المتغيرات التي طرأت، ونستفيد فيها من دروس التجربة حتى نتمكن من تحقيق هدفنا جميعا في تحريك النشاط الاقتصادي لدول المنطقة ودفع عجلة التنمية فيها.

واقتصارا على ما نحن بصدده اليوم من مناقشة دور القطاع الخاص في تحريك النشاط الاقتصادي في الدول العربية الخليجية، أبدأ بتأكيد أن القطاع الخاص قد شارك بالفعل في عملية التنمية والتطوير الاقتصادي في العقد الماضي الا أن هذه المشاركة لم تتجاوز بأي حال من الأحوال — نسبة ٢٥٪، بينما اضطلع القطاع العام بالجزء الأعظم من تمويل الاستثمارات وتنفيذها وتحمّل القدر الأكبر من عبء التنمية الاقتصادية. الا أن الظروف المستجدة قد حملت معها ظواهر انخفاض الدخل العام للدول والعجز في موازناتها للمصاريف المتكررة والانمائية وانخفاض الاحتياطيات مما استوجب ترشيد الانفاق العام، ولكن ليس على الخدمات المتطورة التي تقدم للمواطن أو على حساب أمن المنطقة واستقرارها.

كـل ذلك يجعـل مـن الضروري الآن أن يكـون للقطـاع الخـاص دور أكبر وأكثر فاعلية يضطلع فيه بمسؤوليته القومية



الاستاذ محمد الملا يلقي كلمته في حفل الافتتاح.

عن طريق المساهمة الفعالة والمؤثرة في مسيرة التنمية الاقتصادية وتحريك النشاط الاقتصادي من أجل المحافظة على مستوى الناتج المحلي الاجمالي إن لم نقل على زيادته كي نضمن لأجيالنا القادمة مستوى كريما من العيش في ظل اقتصاديات نشطة ومنتجة.

وإن القطاع الخاص مطالب اليوم، وقد اكتملت البنية الاساسية في بلداننا، بالمساهمة الفعالة في مجال الصناعة والخدمات الضرورية الملازمة لها وهو مجال حيوي أغفله القطاع الخاص برغم أهميته مما ساعد الكثير من الدول على كسب أسواق المنطقة وترجيح كفة موازين المدفوعات لصالحها».

ومن خلال ما ورد في كلمة وزير التجارة والزراعة البحريني، يستشف ان مشاركة القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي في الدول العربية في الخليج هي دون مستوى الطموح، خصوصا وان حكومات معظم الدول تتبع سياسة الاقتصاد الحر المفتوح الذي يتيح للقطاع الخاص حرية التحرك والاسهام في كافة النشاطات الاقتصادية.

وفي تأكيد الوزير البحريني على ضرورة إسهام القطاع الخاص اسهاما أكبر في مجال الصناعة اشارة الى قصور دور هذا القطاع في هذا المجال الحيوي الهام، فلقد اقتصرت معظم

جانب من مناقشة ورقة عمل الدكتور عبدالله القويز.



ورقة عمل الاستاذ ماجد جمال الدين أثناء طرحها للمناقشة.

نشاطات هذا القطاع على الأمور الزراعية التي كانت دول المنطقة تقدم لها دعما سخيا من أجل الارتقاء بها لتوفير أكبر قدر ممكن من الناتج الزراعي المحلي، وقد تحقق الاكتفاء الذاتي من بعض المنتجات الزراعية كما هي الحال بالنسبة للقمح السعودي. كما كان للنشاط التجاري ذي المردود الربحي السريع نصيب الأسد في مساهمات القطاع الخاص، بما كان على حساب مساهمات هذا القطاع في المجالات الصناعية التي تتطلب استثمارا طويل الأجل كان يتهيب منه القطاع الخاص.

وقد أكدت الكلمات الأخرى التي ألقيت في حفل الافتتاح على تلك الحقائق وطالبت أيضا بزيادة نسب مشاركة القطاع الخاص في دعم النشاطات الاقتصادية. فقد ورد في كلمة رئيس غرفة تجارة وصناعة البحرين الاستاذ قاسم احمد فخرو ما يلي:

«إن هذا التجمع والتظاهرة الاقتصادية من أبناء الخليج العربي وعقده في هذا الوقت والظروف بالذات، رمز وتأكيد لوعي منتسبي القطاع الخاص وتصميمهم على التصدي الجماعي المشترك من قبل مفكري ومنتسبي هذا القطاع أفرادا ومؤسسات لبحث ومناقشة كافة الأمور المتعلقة بالنشاط الاقتصادي في هذه البلدان مبينين مظاهرها الايجابية والمعوقات والصعوبات التي تعترض سيرها وتشخيص أسبابها وأثرها على مسيرة التنمية ثم العمل على ابراز الامكانات والطرق لازالتها أو التخفيف من آثارها. ومن ثم وضع المخططات المستقبلية للمساهمة والمشاركة في عملية التنمية على المستوى المحلي والاقليمي الخليجي».

ثم ألقى الأستاذ محمد الملا، أمين عام اتحاد الغرف العربية الخليجية، وهي الجهة المنظمة للندوة بالتعاون مع غرفة تجارة وصناعة البحرين واتحاد الغرف السعودية، كلمة الاتحاد جاء فيها:

«لقد نظمنا هذه الندوة، وكل ما نحتاجه هو المشاركة الجماعية بروح المسؤولية والصراحة لبلورة سياسات اقتصادية لتحريك النشاط الاقتصادي يراعى فيها الموضوعية والقابلية للتطبيق ومعالجة القضايا الحقيقية التي تعوق التوظيف السليم للامكانات التمويلية والتنظيمية والبشرية المتاحة.

والقطاع الخاص مطالب الآن أكثر من ذي قبل بتوسيع مجالات الاعلام التجاري وتحقيق التكامل بين مؤسساته، والسعي لدمج الشركات المتشابهة بهدف خفض الكلفة واقامة شركات كبرى متخصصة والاستفادة من مزايا الانتاج الكبير والوصول الى اقامة السوق الخليجية المشتركة عن طريق الاستفادة من الامتيازات الواسعة التي جاءت بها أحكام الاتفاقية الاقتصادية الموحدة وقرارات مجلس التعاون الخليجي. واعطاء عناية أكبر للمكننة الزراعية والتوسع في اقامة الصناعات الزراعية والتصنيع الغذائي بما يؤدي الى سد الفجوة المتزايدة بين الانتاج والاستهلاك خاصة وان موضوع التصنيع الغذائي يعتبر أحد المداخل الرئيسية التي لم تول اهتماما كبيرا حتى الآن».

وواضح من كلمة الأمين العام أن هناك خللا ظاهرا في سياسة اقامة كثير من الشركات والصناعات المتشابهة في بعض دول المجلس مما يؤدي في النهاية الى بروز المنافسة والمضاربة غير المبررة بالاضافة الى هدر الطاقات وعجز هذه الشركات الصغيرة عن الوفاء بالاحتياجات المحلية بسبب محدودية انتاجها وتباين مستوى الانتاج والجودة بين تلك الشركات.

كما أن التأكيد على المكننة الزراعية والتصنيع الغذائي أصبح ضرورة ملحة من أجل توفير الأمن الغذائي لدول المنطقة خاصة والعالم العربي عامة، مما يجعلنا بمنأى عن المساومات الدولية وتحكم الدول الصناعية الكبرى في لقمة العيش وفرضها على السوق نوعيات غذائية رديئة أو لا تتناسب واحتياجات مجتمعنا، بالاضافة الى ما قد يصاحب ذلك من تلوث غذائي كما حدث لمعظم المنتجات الزراعية والحيوانية الاوربية إثر انفجار المفاعل النووي السوفييتي في «تشيرنوبل».

وقد قدمت خلال المؤتمر اوراق عمل مختلفة تنصب مناقشاتها على أهمية هذه الندوة وما طرحته من آراء وكان من بين تلك الاوراق ما قدمه سعادة الدكتور عبدالله ابراهيم القويز، الأمين العام المساعد لمجلس التعاون للشؤون الاقتصادية بعنوان: «آفاق التعاون الاقتصادي الخليجي في ظل المعطيات الاقتصادية الراهنة»



ورقتا العمل الاولى والثانية في الجلسة الصباحية لليوم الثاني خلال استعراضها.



جانب من الحضور.

وقد تطرق فيها الى ما يلي:

* ضرورة التعاون الخليجي لتجاوز انعكاسات المرحلة الراهنة.
* تحديد خريطة أولويات للتنفيذ المشترك للاستراتيجيات الاقتصادية الزراعية والصناعية.
* المعوقات والمشاكل التي تعترض سبيل التنفيذ وكيفية تذليلها على ضوء التجربة الاقتصادية الموحدة لدول مجلس التعاون الخليجي.
* دور المشروعات المشتركة في تنشيط الاقتصاد الخليجي وكيفية مواجهة المشاكل التي تجابه المشروعات القائمة والمحتملة.

وختم سعادته ورقة عمله هذه بالنتائج والتوصيات التي توصل اليها من خلال بحثه.

وقد أشار الدكتور القويز في ورقته الى أن انجازات حيوية وملموسة تحققت في مجال العمل الاقتصادي المشترك أسهمت في تعزيز جو التفاؤل والنظر الى المستقبل بقدر من الثقة حيث تم تحرير التجارة البينية واعطاء الافضلية في المشروعات والمشتريات الحكومية للمنتجات الوطنية والمنتجات ذات المنشأ الوطني والسماح للمنتجين بالبيع المباشر دون وكيل محلي والسماح بممارسة العديد من الأنشطة والمهن وجميع الحرف بما في ذلك الصناعة والزراعة والتجارة ويجري الاعداد للسماح بتملك الأسهم والاتفاق على تعرفة جمركية موحدة وتشجيع مبادرات القطاع الخاص للدخول في مشروعات مشتركة.

كما أكد الدكتور القويز ان الموقف المبدئي لدول مجلس التعاون من مبادرات القطاع الخاص ودوره في التنمية يدفعه الى اعتماد المشروعات المشتركة المقامة من قبل القطاع الخاص كأداة اساسية لضمان مسيرة التكامل الاقتصادي بين دول المجلس والترابط المصلحي بين أبنائه وسوف يواصل مجهوداته لضمان مكان الصدارة للقطاع الخاص.

ومع الادراك بأن القرارات الاستثمارية للقطاع الخاص ينبغي ان تبنى على الدراسات التفصيلية لمعرفة جدواها الاقتصادية فان هناك عددا من الفرص المتاحة مثل:

* انشاء شركة قابضة وقادرة على إنشاء أو على الاسهام في انشاء العديد من المشروعات الانتاجية والخدمية.
* مشروعات الصيانة والتشغيل والمشروعات المكملة والمساندة لمشروعات قائمة.
* المشروعات الكبرى الموجهة ليس فقط لاسواق دول المجلس وإنما للاسواق الخارجية أيضا، وفي هذا الصدد يمكن النظر في جدوى إنشاء شركة مشتركة للتسويق.

وقد انصب معظم المداخلات والتعقيبات على هذه الورقة على الاتفاقية الاقتصادية لدول مجلس التعاون وامكانات توظيفها بحيث يلعب فيها القطاع الخاص دورا أكثر ايجابية يبتعد عن التحركات الفردية الضيقة التي تشكل عائقا أمام اقامة سوق خليجية مشتركة وتكامل اقتصادي خليجي أكثر متانة وأصلب عودا. وفي جلسة أخرى اقتصرت على عرض وتحليل «مقترحات الغرف العربية الخليجية لتحريك النشاط الاقتصادي» من خلال ورقة عمل قدمها



استعراض لورقة عمل الاستاذ احمد التويجري.

الاستاذ ماجد جمال الدين مستشار غرف تجارة وصناعة الكويت. وقد دعا الاستاذ ماجد جمال الدين من خلال عرضه الى الاسراع في تحقيق السياسات الاقتصادية الخليجية الموحدة وعدم فصل هذه السياسات عن السياسات الاقتصادية والانمائية العربية عموما. كما أكد على ضرورة اعتبار ان التكتلات الاقليمية وسيلة لتحقيق التكامل الاقتصادي الخليجي. وألمح الى أن الدورات الاقتصادية أمر طبيعي فلا يمكن ان تستمر مسيرة الاقتصاد على وتيرة واحدة، كما أن ما تشهده المنطقة الآن ليس انكماشا وإنما هو انحساركبير. وقد شدد الباحث في ورقة عمله على ضرورة ايجاد معالجة جذرية وعلمية للأزمة تتصدى من خلالها «الادارة الاقتصادية» في دول مجلس التعاون الخليجي بشجاعة وحزم لمهمتها الاساسية وهي اصلاح المسار الاقتصادي اصلاحا جذريا يتحرر من التوجهات التقليدية في الحفاظ على وتائر نمو مرتفعة ومتواصلة، ويعالج الاختلالات والاخطاء التي نجمت عن تراكمات التطور غير المدروس، ويواجه الحقائق المستجدة التي تؤكد ان التزامات دول المنطقة ومسؤولياتها أضحت تفوق مواردها والقدرات المتاحة لها.

وقد تركزت التعقيبات والمداخلات على هذه الورقة على أهمية التحرك الاقتصادي العربي وفتح السوق العربية المشتركة امام البضائع والسلع المنتجة في الاقطار العربية، ودعم التعاون الاقتصادي الخليجي باعتباره لبنة من لبنات التعاون الاقتصادي العربي وليس بديلا عنه.

وكانت هناك ورقة أخرى مقدمة من مجلس الغرف السعودية بعنوان «الوسائل والأسس الضرورية لتوجيه الائتمان لدعم الأنشطة الانتاجية في دول الخليج العربية» عرضها الاستاذ عبدالله الدباغ أمين عام مجلس الغرف السعودية، وقد تضمنت هذه الورقة لمحة عن سياسة حكومات دول الخليج العربية في توجيه عوائد النفط خلال فترة السبعينات وما شهدته من انشاء بنية اساسية قوية تكفل تحسين وتهيئة المناخ الاستثماري المناسب للتنمية الاقتصادية، وتطور نشاط القطاع الخاص في مجالات الخدمات والمقاولات لمواجهة الطلب الحكومي المتزايد في تلك المرحلة «اعتمادا» على ما أحدثه الانفاق الحكومي من انتعاش في الطلب المحلي للدول الخليجية.

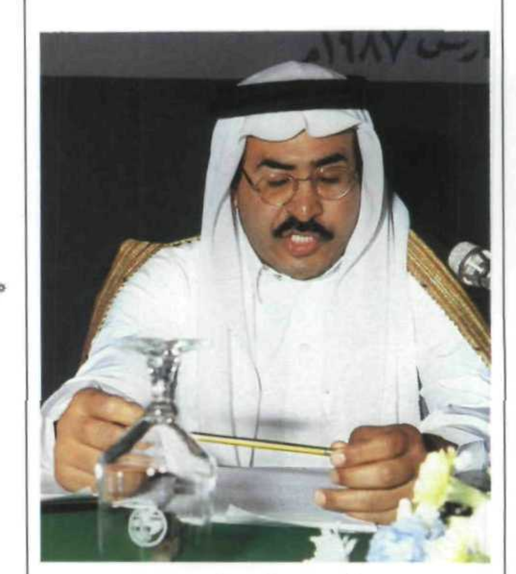
ومع بداية الثمانينات بدأت العوائد النفطية في التقلص نتيجة لما شهدته سوق النفط العالمية من تغيرات، وقد صاحب تلك المرحلة انتهاء أو على الاقل تضاؤل جهود دول الخليج لانشاء كافة المرافق الاساسية، سواء في مجالات الخدمات العامة كالتعليم والصحة أو المنافع العامة كالكهرباء والمياه والمواصلات. ومع بداية عام ١٩٨٢م بدأت مرحلة عودة النشاط الاقتصادي الى معدلاته الطبيعية وساد شعور بهبوط نشاط السوق تبعا لهبوط الطلب، وكان على المؤسسات الانتاجية والخدمية أن تهيىء نفسها للتكيف مع ظروف السوق الجديدة.

ومن جهة أخرى فان الصناديق الحكومية المتخصصة في مجال الاقراض التنموي لا يتوقع أن تستمر في تقديم المستوى الائتماني نفسه في المستقبل حيث أنها تعتمد على ما يدرج لها من مخصصات سنوية بميزانية الدولة، وبالتالي فان مسؤولية القطاع الخاص الخليجي لن تقتصر على انشاء المشروعات الانتاجية فحسب وإنما ايضا تمويلها ذاتيا في المقام الأول وبمساعدة التمويل الحكومي في نطاق ما تسمح به ميزانيات تلك الصناديق في المقام الثاني.

وقد أكدت هذه الورقة على ضرورة قيام المصارف الأهلية والمساهمة بدور أكثر فاعلية في عمليات تمويل المشروعات ذات المردود الانتاجي الذي يزيد في تنويع الهيكل الاقتصادي لبلدانها، وعدم الاكتفاء بتمويل تجارة الواردات ذات المردود الاقتصادي السريع والبعيد عن المخاطرة بالنسبة للمقترض والبنك المقرض.

وقد عقب الدكتور عبدالعزيز الدخيل على هذه الورقة مشيرا الى أهم المعوقات التي تؤدي الى احجام المصارف المحلية عن القيام بالدور الذي يفترض لها أن تقوم به في تمويل المشروعات الانتاجية الكبيرة والمتوسطة سواء بقروض طويلة أو متوسطة الأجل، ومن تلك المعوقات خوف تلك المصارف من انهيار تلك المشاريع وخسارتها مما سيؤدي الى عجزها عن تسديد تلك القروض، وقد عزا ذلك التخوف الى افتقار تلك المصارف الى وجود لجان متخصصة في دراسة الجدوى الاقتصادية، والى عدم وجود شركات قابضة تقوم بدور الكفيل للمشروع الانتاجي.

وفي اليوم الثاني للندوة قدمت أوراق عمل



الدكتور عبدالعزيز الدخيل.

في الجلسة الصباحية والمسائية وكانت الأولى بعنوان «الاستثمارات الخارجية الخاصة ودورها في خدمة الاقتصاد الوطني لدولها» مقدمة من الاستاذ عبدالوهاب التمار محافظ بنك الكويت المركزي «سابقا». والثانية بعنوان «مستقبل الصناعة المصرفية في الدول العربية الخليجية ضمن الظروف الاقتصادية الراهنة» مقدمة من كل من: الدكتور عدنان نورالدين بسيسو عضو اللجنة المالية والاقتصادية لغرفة البحرين ورئيس المركز الاستشاري للشرق الاوسط في البحرين، والاستاذ وهيب بن زقر رئيس شركة بن زقر في جدة، والدكتور محمد علي السقاف مدير ادارة البحوث الاقتصادية والنشر في البنك الأهلي التجاري في جدة.

وقد جاء في ملخص ورقة الأستاذ عبدالوهاب التمار مجموعة من المقترحات التالية:

- تحديد مجالات الاستثمار التي ترحب بها الاقطار المضيفة وتوفير المعلومات الاساسية عنها وتحديد الشروط والمحفزات الخاصة بها متى وجدت.
- تحديد احتياجات دول المنطقة والسعي لدى الدول التي تتوفر لديها هذه الاحتياجات للعمل على اقناعها للترحيب بدخول الاستثمارات اليها.
- معاملة الدولتين المعنيتين بالمشروع المشترك الذي يحقق الشرطين الأوليين بشكل يعكس ترحيبهما به. وبخاصة ينتظر من الدولة المستثمرة أن تعامل المشروع المشترك معاملة مشاريعها الوطنية من حيث حرية دخول المنتجات وتسويقها في نطاق اقليم تلك الدولة.

- ان ما سبق من دعوة دول المنطقة والدولة المضيفة الى تبني الاستثمارات الخاصة يتطلب قيام أجهزة ادارية متخصصة في دول المنطقة بتوفير المعلومات ووضعها في متناول المستثمرين المهتمين في التوجه الى الخارج ومتابعة اعمالهم ورعاية مصالحهم واقتراح الاجراءات اللازمة لتحقيق التكامل المنشود فيها بين الاستثمارات الخارجية واحتياجات التنمية الوطنية.

ومن خلال استعراض ما جاء في هذه الورقة نستطيع أن نخرج بخلاصة عامة هي أن معدّ هذه الورقة يحث القطاع الخاص في الوقت الحاضر على ضرورة العمل بصورة أكثر جدية في استغلال استثماراته الخارجية في مجالات انتاجية في الدول التي يستثمر بها بالاضافة الى ضرورة السعي لاستغلال فائضه المالي في صناعات انتاجية في دول المنطقة مستفيدا من المميزات التي وفرتها له حكومات هذه الدول.

أما ورقة العمل الثانية فكانت بعنوان «مستقبل الصناعة المصرفية في الدول العربية الخليجية ضمن الظروف الاقتصادية الراهنة» جاء في خلاصتها ما يلي:

« إن المطلوب في هذه المرحلة الدقيقة هو مراجعة عامة تأخذ بعين الاعتبار الظروف الطارئة وغير العادية التي مرت بها المنطقة إبان فورة النفط وتستخلص الدروس التي يجب الاستفادة منها في اجراء عمليات التصحيح اللازمة والضرورية لاعادة الصناعة المصرفية الى خط سيرها العادي والمهني الملتزم. لاننا نعتقد أن عملية التصحيح يجب أن تكون عامة وشاملة لكافة القطاعات الاقتصادية الرئيسية مع تركيز خاص على الصناعة المصرفية التي هي القلب الذي يضخ النقد في شرايين الاقتصاد ويساعد على زيادة معدلات الناتج المحلي الاجمالي ومواصلة مسيرة التنمية الاقتصادية.

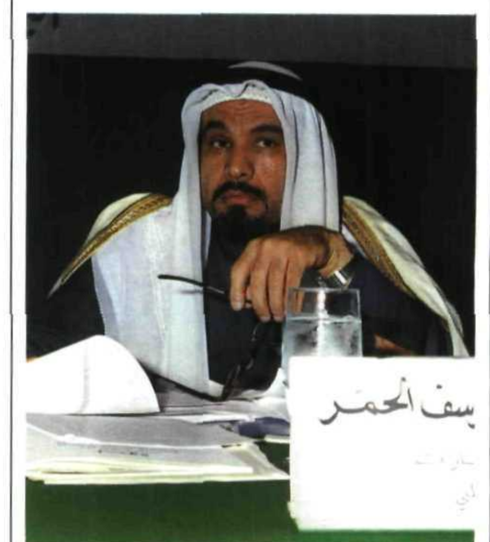
كما ويجب ان تتخذ عمليات التصحيح لنفسها استراتيجية واضحة تتفق عليها الدول العربية الخليجية كافة من أجل ايجاد أرضية صلبة من التعاون والتكامل الاقتصاديين، اذ انه من العبث محاولة مواجهة التحديات الكبرى التي تتربص بالمنطقة دون ايجاد هذه الاستراتيجية الجماعية وبمعزل عن الجهد العربي المشترك».



الاستاذ عبداللطيف الحمد يرأس الجلسة المسائية في اليوم الثاني.

وواضح أن هذه الورقة تحمل في طياتها دعوة للصناعة المصرفية لأن تلعب دورا أكثر ايجابية يتمثل في رفد القطاعات الانتاجية الأخرى من أجل النهوض بها وتسييرها في مسارها الصحيح بما يحقق لها كفاية انتاجية ومردودا ربحيا يشجعها على الاستمرار والنمو بوتائر متزايدة. وهذا لن يتم الا اذا قامت المصارف التجارية — بشكل خاص — باتباع سياسات تسويقية تساعدها على تقديم المزيد من الخدمات المصرفية المطلوبة وتنويع خدماتها، كماً وكيفاً، وتحديث أساليبها ومناهجها المصرفية.

أما الورقة الثالثة فهي مقدمة من الاستاذ احمد صالح التويجري، العضو المنتدب للدار السعودية للخدمات الاستشارية ورئيس مجلس ادارة الشركة السعودية الكويتية للاسمنت، وهي بعنوان «دور القطاع الصناعي في دول الخليج العربية في معادلة تراجع القطاعات الأخرى». وقد تضمنت هذه الورقة عرضا للخيارات الصناعية



الاستاذ عبدالملك الحمر يعقب على ورقة عمل الدكتور الدخيل.

التي يتصور انه من الواجب على الدول الخليجية تبنيها سواء في قطاعاتها الحكومية أو الخاصة او الاثنين معا. كما تطرقت الى الصعوبات التي تواجهها دول الخليج العربية وهي تتجه للتصنيع والعقبات التي تضعها الدول الصناعية امام الصناعة الخليجية من أجل قبرها والقضاء عليها في مهدها كي تصبح دول الخليج سوقا مفتوحة امام السلع والبضائع التي تصدرها تلك الدول وتغرق بها اسواقنا المحلية من أجل ضمان الحصول على العملات الصعبة. ومما جاء في ختام هذه الورقة:

«انه من الطبيعي والحتمي في الوقت نفسه ان ننهي هذا البحث بالنتائج والتوصيات التي تنطلق من توصية رئيسية وهي: انه لا قطاع صناعي حكومي بمفرده ولا قطاع صناعي خاص بمفرده بل دمج الاثنين معا في قطاع واحد، فلا غنى بأي حال من الأحوال في الحقبة القادمة عن الدور الحكومي الذي يتمثل ليس في الدور المستمر والهام الذي تلعبه وما زالت الحكومات في دول الخليج العربية وهو الدعم المالي بالقروض والخدمات وغيرها، وإنما ما أقصده هو وضع السياسات والأنظمة والقوانين التي تكفل الأمان والحماية والدعم للقطاع الصناعي التي تضمن انطلاقته سواء كان ذلك في الاسواق المحلية أو الاسواق الخليجية. فما دمنا قد تبنينا قطاع الصناعة وخيار التصنيع كخيار حتمي فلنقبل بكافة التحديات الدولية ونضع مصالحنا فوق كل اعتبار في ظل هذه الصراعات التي تحوطنا من كل جانب».

وفي الوقت الذي ركز فيه الاستاذ التويجري على أهمية الصناعة في هذه المرحلة كرافد للدخل القومي، انتقد فيه سياسة الاعتماد على الاقتصاد الاحادي الجانب المتمثل في «النفط» والذي أدى انخفاض اسعاره وتدني الطلب عليه الى انتكاسة اقتصادية لم تشهد لها دول الخليج العربية — بصفتها من أكبر الدول المصدرة للبترول — مثيلا منذ عدة سنوات.

وقد عقب على هذه الورقة الدكتور عبدالله حمد المعجل أمين عام منظمة الخليج للاستشارات الصناعية في الدوحة، حيث تطرق الى بعض تجارب القطاع الخاص في المجالات الصناعية وأهم المعوقات التي تواجهه في طريق قيامه بمشروعات صناعية كبيرة. اما ورقة العمل الرابعة خلال اليوم فقد كانت بعنوان «السياسات المالية والنقدية لاعادة توجيه الاقتصاد الخليجي وتنشيط فعاليته» مقدمة من الدكتور عبدالعزيز محمد الدخيل، رئيس المركز الاستشاري للاستثمارات والتمويل ورئيس مجلس ادارة البنك السعودي للاستثمار بالرياض.

وقد استعرض الدكتور الدخيل في ورقته هذه أهم سمات فترتي الطفرة والانكماش مؤكدا بأن القفزة الكبيرة في حجم الاقتصاد الخليجي والتي حدثت بفعل الانفاق الحكومي كانت ذات شقين أحدهما: توسعا حقيقيا في القطاعات الانتاجية والبنى الاساسية، والآخر: كان انتفاضا نقديا تكشفت آثاره السلبية بعد انتهاء فترة الطفرة، كما أوضح الارتباط الضعيف بين قطاع النفط وقطاعات الاقتصاد الأخرى، وطالب بانشاء هيئة عليا لتحديد الحجم الأمثل لاستخراج الثروات الناضبة بهدف تعظيم مردودها الاقتصادي والاجتماعي وبالتالي فصل القرارات المتعلقة بتسعير وانتاج البترول عن وزارات البترول وتوجيه جهود الأخيرة نحو بناء المؤسسات والعناصر الوطنية الخاصة بهذا القطاع، كما أشار الى أن انماط الاستهلاك والاستثمار التي برزت



الدكتور علي الكواري يستعرض ورقة عمله.

خلال فترة الطفرة ليست جميعها انماطا من السلوك الايجابي، وبالتالي فالسؤال المطروح هو: أي من عناصر وفاعليات الاقتصاد الخليجي يجب أن تبقى، وأيها يجب أن يزول؟ وكذلك ما هو الحجم الأمثل للاقتصاد الوطني الذي يتلاءم مع حجم موارده البشرية والطبيعية والادارية والاجتماعية ويتيح معدل نمو حقيقي عاليا؟

ويرى الدكتور الدخيل بأن قوى السوق كفيلة بتحقيق الحجم الأمثل للقطاع الخاص. أما المؤسسات الحكومية وشبه الحكومية فتعجز قوى السوق عن تحقيق ذلك، ويبقى القرار لدى الدولة لاعتماد معايير لتحديد حجمه الأمثل.

وفي ختام كلمته قدم الدكتور الدخيل عددا من الاقتراحات حول السياسات المالية والنقدية منها: ربط الانفاق الحكومي بالحاجة الاقتصادية والاجتماعية وليس بحجم الايرادات النفطية، واستخدام الضرائب كأداة من ادوات السياسة المالية لإعادة توزيع الدخل، وناقش مسألة الرسوم الجمركية كمصدر للعائدات الحكومية ووسيلة لحماية الصناعة الوطنية. وأكد على ضرورة توجيه المشتريات والعقود الحكومية نحو الداخل. واقترح تحويل مؤسسات التمويل الحكومية الى مؤسسات تمويل لخدمة الاغراض نفسها على أسس مصرفية سليمة، كما اقترح النظر في جدوى تحويل بعض



الجلسة الختامية، ويبدو الاستاذ قاسم أحمد فخرو يلقي كلمته الختامية.


جانب من حفل الافتتاح.

المؤسسات الخدمية والانتاجية الحكومية الى القطاع الخاص.

وفيما يختص بالسياسات النقدية، طالب الدكتور الدخيل بايجاد الحلول اللازمة لتخفيف أثر الديون الوطنية غير المنتجة بتوفير الوضع القانوني للبنوك لاسترداد حقوقها من القادرين على الدفع، وكذلك معالجة حالات الافلاس، ودعا الى اصدار وتطوير سندات الاستثمار الحكومية القصيرة والمتوسطة والطويلة الأجل. واقترح قيام مؤسسات التمويل المتوسط والطويل الأجل على هيئة شركات أو مصارف استثمارية، وزيادة حجم سوق الأسهم والسندات. وايجاد تصور وحل لمشكلة الفائدة تتمشى مع روح وجوهر النظام الاقتصادي الاسلامي، وأخيرا تطوير المؤسسات اللازمة لتنشيط السوق الثانوية ضمن حدود وضوابط معينة.

وقد تلت ورقة العمل هذه ورقة عمل أخرى بعنوان «نحو سياسة اقتصادية جديدة في دول الخليج العربية» مقدمة من الدكتور علي خليفة الكواري والاستاذ حمزة محمد الكواري، وقد قام باستعراضها الدكتور علي الكواري رئيس المكتب العربي للدراسات والاستشارات بالدوحة، وتطرق فيها الى طبيعة الأزمة الراهنة من حيث الطلب على صادرات «اوبيك» وعجز الايرادات العامة عن مواجهة النفقات، والى أهمية بناء قاعدة اقتصادية بديلة من خلال توسيع الطاقة الاستيعابية المنتجة والاندماج الاقليمي والتكامل العربي ومن خلال قيام المشروعات المشتركة وتصعيد جهود انشاء مشروعات الانتاج المباشر وترشيدها، وكذلك من خلال التوظيف الكفؤ للموارد المتاحة عن طريق استغلال كفؤ لقوة العمل المحلية والموارد الطبيعية واخضاع الاستثمارات الخارجية لمتطلبات البناء الداخلي، كما تحدث الدكتور علي الكواري عن مرتكزات السياسة الاقتصادية الجديدة والمتمثلة في التقليل من الاعتماد تدريجيا على صادرات النفط، واخضاع النفقات العامة لمعايير الجدوى الاقتصادية والاجتماعية، والحماية من الاغراق التجاري وفتح الاسواق امام البضائع المستوردة، وعن طريق دراسة كفاية التكوين الرأسمالي وملاءمته وايجاد آلية اقتصادية سليمة تتمثل في دراسة اعتبارات الدعم الحكومي وتقييد النشاطات الطفيلية. وقد ختم الدكتور الكواري ورقة عمله بالحديث عن «ارادة التغيير» التي قال عنها:

«يتوقف تغيير النهج الاقتصادي في دول الخليج العربي على مدى تبلور ارادة مجتمعية تعبر عنها ارادة سياسية ثم بعد ذلك يأتي دور الادارة باعتبارها أمرا تقنيا يعبر عن ارادة متخذ القرار في ضوء محددات فنية يتم تجاوزها تدريجيا من خلال الاصلاح الاداري والتنمية الادارية». وقد دعم الدكتور الكواري بحثه بعرض شرائح مصورة اورد فيها احصاءات دقيقة عن المواضيع التي تطرق اليها، وقام بتحليلها والتعليق عليها.

وقد تلت الجلسة المسائية جلسة ختامية تضمنت البيان الختامي وخرجت بالتوصيات التالية:

أولا: العمل على بناء قاعدة اقتصادية بديلة للنفط وايجاد نشاطات انتاجية محلية واقليمية وعربية تتكامل فيها القطاعات وتتشابك الوحدات بهدف ايجاد فرص عمل منتج وكريم لقوة العمل المحلية المتزايدة وتفي باشباع حاجات السكان الاساسية المتصاعدة

وتوفير مصادر بديلة ومضمونة تولد فائضا اقتصاديا يمكّن القاعدة البديلة من تدعيم نفسها ذاتيا مستقبلا ويقتضي ذلك مجابهة التحدي الحقيقي للمنطقة والمتمثل في مقدرتها على زيادة مساهمية قطاعات الصناعة التحويلية والزراعة والثروة السمكية والحيوانية لتحل محل الصناعة الاستخراجية تدريجيا.

ثانيا: اعتماد تأسيس المزيد من المشروعات الخليجية المشتركة في القطاعات الانتاجية وتكثيف الجهود للترويج لها وترشيدها كمدخل محوري من مداخل توسيع الطاقة الاستيعابية المنتجة والعمل على توفير مقومات نجاحها والمتمثلة في اسلوب ادارة حديثة تستند على معايير الربحية واعتماد أساليب التسويق الحديثة وتوسيع نطاقها لكي يسهم القطاع الخاص بفاعلية وتحديد النظم والضوابط التي تحكم نشاطها.

ثالثا: تعظيم دور القطاع الخاص كشريك رئيسي في عملية التنمية والعمل على تطوير كفاءته الادارية والفنية واعطاء مؤسساته دورا أكبر في رسم خطط التنمية والمشاركة في وضع السياسات الاقتصادية وذلك من خلال تدعيم الدور الحالي الذي تضطلع به الغرف التجارية الصناعية.

رابعا: العمل على دعم الصناعات الوطنية بتنسيق السياسات الصناعية بين الدول العربية الخليجية وتشجيع ودمج الصناعات المتشابهة وذلك بتحسين قدرتها التنافسية وتحسين الكفاءة التسويقية وربط عملية منح المعونات والقروض للصادرات الوطنية وتطبيق القوانين والقرارات المتعلقة بالشراء من السوق المحلي.

خامسا: توظيف اكفأ الموارد البشرية وربط مخرجات التعليم بالحاجات الحقيقية للتنمية والعمل على تدريب وتأهيل الكفاءات الوطنية لتلبية متطلبات سوق العمل ورفع نسبة مساهمة قوة العمل الوطنية في قوة العمل في الدول الخليجية.

سادسا: معالجة مشكلة المديونيات الصعبة المترتبة للجهاز المصرفي على القطاع الخاص وتلافي تأثيرها الضار على القطاع المصرفي والاقتصادي الوطني والبناء الاجتماعي ومعالجتها من خلال لجنة متخصصة تشارك فيها الاطراف ذات العلاقة في كل دولة على حدة.

سابعا: دراسة امكانية وضع سياسة نقدية تمليها الاعتبارات الاقتصادية والقيام باستخدام ادوات جديدة للتحكم في عرض النقد وتحسين مناخي الاستثمار الداخلي وتشجيع المصارف على اعادة استثماراتها الموظفة في الخارج لتنشيط الاقتصاد المحلي والعمل على استقطاب المدخرات وتوظيفها في المجالات الانتاجية.

ثامنا: العمل على قيام سوق خليجي متطور للاوراق المالية وتطوير الاسواق المحلية وتنظيم تلك الاسواق بتشريعات واضحة تحد من المضاربة ورفدها بادوات مالية جديدة للرقابة مما يوفر تمويل متوسط وطويل الأجل ويحمي المستثمرين ويوجد قنوات استثمارية كبيرة.

تاسعا: تدعيم مراكز المعلومات القائمة في الدول العربية الخليجية والسعي لاقامة مراكز معلومات تتولى المهام المستجدة في مجالات الاستثمارات الخارجية للقطاع الخاص الخليجي والبحث في وسائل الاستفادة منها لخدمة الاقتصاد الوطني وتحقيق تكاملها مع الأنشطة المحلية وتوجيهها الى المواقع التي تخدم أهداف التنمية الاقتصادية بالدول العربية الخليجية.

عاشرا: تكليف الأمانة العامة لاتحاد الغرف العربية الخليجية وغرفة تجارة وصناعة البحرين ومجلس الغرف السعودية بمتابعة تنفيذ التوصيات المذكورة مع الجهات ذات العلاقة.

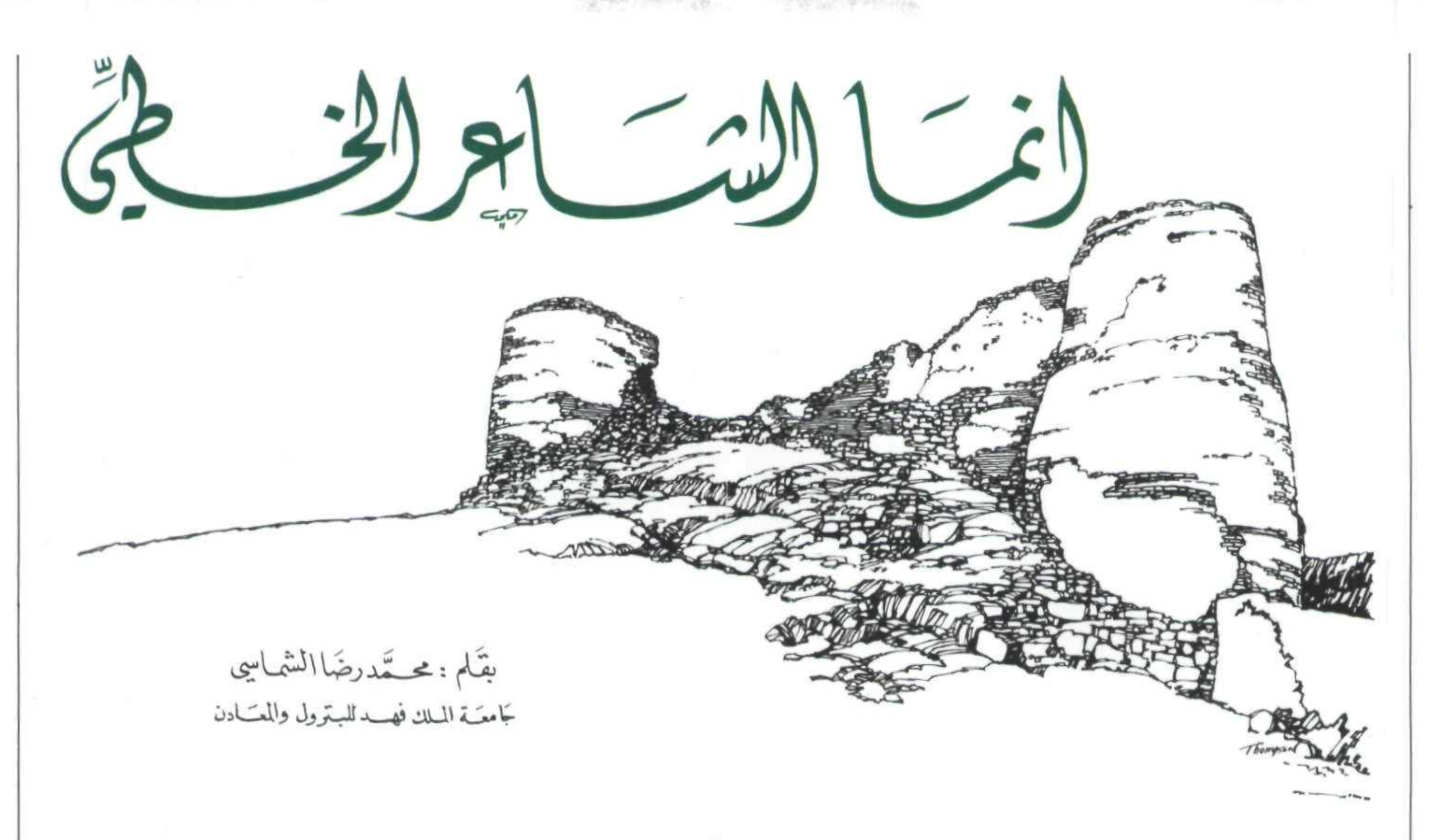

جانب آخر من الحضور في احدى الجلسات.

أضواء على الندوة

لقد اتسمت هذه الندوة بحسن التنظيم وبالتسهيلات التي لمسها المشاركون فيها من قبل الجهات المنظمة مما جعل هؤلاء المشاركين يتفاعلون جديا مع ما طرح فيها من أفكار دللت بحق على وعي رجال الأعمال والاقتصاد الخليجيين بأهمية العمل الجاد من أجل بناء اقتصاد خليجي متين يسهم فيه القطاع الخاص بدور بناء ومتميز يتماشى والمرحلة الاقتصادية العالمية الراهنة والتي تتصف بالانحسار والتراجع، والتي انعكست بشكل مؤثر ومباشر على اقتصاديات الدول العربية الخليجية. وقد اتصف السادة المحاضرون في هذه الندوة بكثير من المرونة والالمام الكبير بما طرحوه من افكار بحيث كانت المداخلات والتعقيبات على اوراق العمل تشكل إثراء لما جاء في تلك الاوراق، وقد كان التفاعل مع اوراق العمل والأفكار المطروحة سمة مميزة من سمات هذه الندوة، التي كانت تشكل أكبر تجمع اقتصادي خليجي من نوعه تشهده المنامة□

تصوير: عبدالله الدبيس/ارامكو

انما الشاعر الخطي



بقلم: محمد رضا الشماسي
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

الكلمة التي تنبض بالحياة هي كلمة عالم، أو كلمة أديب، أو كلمة شاعر. تلك الكلمة ينبض فيها قلب صاحبها مسئولية أو احساسا، أو عاطفة. والعالم والأديب والشاعر عناصر جمالية في هذا الكون. لكل واحد منهم دور يؤديه، وغاية يسعى اليها في الحياة العامة وميدانه الخاص. وبهذا التباين في الأدوار والغايات، تتعدد المنافع لدى الناس جميعا، وتتنوع صيغ المعرفة تنوع الحقول. ومن جراء ذلك يتم التناسق والانسجام في حياة البشر. فتلك نظرية لها مريدوها، وتلك أعمال أدبية لها عشاقها وما هذه جميعها الا وليدة مواهب خلاقة وأفكار مبدعة وجهود مضنية.

والعلامة الشيخ عبدالحميد الخطي ذو موهبة أدبية خلاقة، استطاع بها أن يأخذ مكان الصدارة في زعامة القطيف، شاعر وأديب له في الشعر نتاج خصيب، وفي النثر مقالات وفيرة.

ولد الشاعر الخطي في القطيف في ١٧ رمضان ١٣٣٥هـ. وبدأ حياته الدراسية كعادة أترابه في الكتاب وتحت رعاية والده الشيخ علي الخنيزي. وكانت حلقات الدرس عامرة بطلاب العلوم المختلفة. ولم يكن سوى تلك الحلقات موئل لشباب الأمس، يرتادونها كما يرتاد شباب اليوم المدارس النظامية. والخطي عاش في ذلك الوسط العلمي ومع والده كما تلقى بعضا من العلوم على يد الشيخ أحمد بن عبدالله السنان وعلى يد الشيخ طاهر البدر. ثم على يد الشيخ فرج العمران. وقد أنهى درس المغني في النحو على استاذيه كل من الشيخ محمد علي الجشي، والشيخ عبدالكريم الفرج، وكان لوالده فضل الجانب التطبيقي في علم النحو حيث الممارسة العلمية شرحا واعرابا وتشقيقا في المسائل النحوية والصرفية على الآيات القرآنية وأشعار العرب.

وقد رحل الى العراق حيث نهل من مختلف العلوم والآداب اذ زاح يرتاد اروقة العلم، وغرف الدراسة وباحات المساجد لينال من شتيت المعرفة والوان الثقافة، وظل كما يتحدث عن نفسه «منفقا سواد ليله وبياض نهاره في تحصيل العلم» حتى ثقف عوده وروى ظمأه.

وبعد تقلبه في مناهل ذلك الزخم العلمي ورودا وصدورا لمدة ثمانية أعوام عاد الى القطيف مسلحا بالعلم والأدب ومناحي الفكر المتعددة ليصبح استاذ جيل جديد من الشباب يأتي في طليعتهم الأساتذة الشعراء عبدرب الرسول الجشي ومحمد سعيد الخنيزي والراحل عبدالواحد الخنيزي.

أما الخطي اديبا فقد دخل عهد الشباب شاعرا. بدأت كوامن موهبته تظهر حيث وجد المحيط وتوفر الحافز وذلك لما نهله من المنتديات الفكرية والأدبية في العراق. إذ استطاع شاعرنا الكبير الخطي أن يستوعب تلك الحياة الأدبية فتفاعل معها اخذا وعطاء. أخذ منها الكثير من علم وأدب وأعطاها الكثير من علم وأدب، بثه في طلابه في العراق كما بثه بين طلابه في حلقات الدرس بالقطيف، عرفته النجف وجرائدها والصحافة العراقية بصفة عامة شاعرا مبدعا وهو في العقد الثالث، تشهد له بذلك باكورة انتاجه ديوان «وحي الثلاثين» الذي نظم قصائده في النجف ذات الاتجاه التقليدي (الكلاسيكي) في وقت ان «وحي الثلاثين» شعر رومانسي نبت في أرض كلاسيكية وفي وسط حافظ على التقليدية شكلا ومضمونا، بحيث انعكست التقليدية على نتاجها الأدبي وخصوصا أدب المناسبات وهذا كثير. ولعل نزعة

الشاعر التجديدية نأت به عن أدب المناسبات فالمتتبع لسير حياة شاعرنا في العراق لا يجد له قصيدة قالها في رثاء أو تكريم أو مشاركة في احتفال.

هناك في النجف انكافأ على الشعر العربي، قديمه وحديثه، فأولع بجزالة ابي تمام والمتنبي وشغف بديباجة البحتري. وقرأ لشعراء النهضة فأحب شعر الرصافي وشوقي، وقرأ الكثير من شعر أبي ريشة. ومن طارف هذا المزيج وتليده تكونت شاعرية الخطي، فبرز شاعرا يجمع بين جزالة الاصالة ورقة الحداثة. يقول عن (ليلة في شواطىء القطيف):

قالوا القطيف فقلت غاية قصدنا
ألـق المراسي ايهـا الربـان
وافيته والبـدر يبسط ظلـه
فوق الضفاف وترقص الشطآن
وعليه مـن نسج المساء ملاءة
صفـراء باهتة بهـا الالـوان
والسفن أسراب تروح وتغتدي
نوعان: ذا وان وذا عجلان
والشرع خافتة الشعاع كأنما
نفضت جناحا في الفضا العقبان
وزغارد الملاح ينشرها الدجى
والبحـر مصغ كلـه آذان
يا حسنه من منظر خلب النهى
يعيـا بـرسم جمالـه الفنان
ليل الشواطىء ان صدقت فانه
كالغيب ليس تحـده الأذهـان

وبينا يكون الشاعر ماضيا في رسم الصور الشعرية للشاطىء وبث خلجات نفسه، اذ به يصل الى هذه المعاناة فيقول:

يا شعر حق للشواطىء وفه
لا تمطلن كما تدين تدان
ان ضاق عن جرى القوافي موطن
فالبحر -لا عذر لها- ميدان
عفوا فكم معنى بذهني رائع
ضاقت به الألفاظ والأوزان
يا بحر قد اودعت صدرك سرنا
اذ ليس سر في الانام يصان

فالقطيف بلاد الشاعر، وفيها ولد، وعلى صعيدها نما وترعرع فاذا القى ببصره نحو مغرب الشمس مثلا شاهد فيها نخيلا باسقة وأشجارا زاهرة وسواقي زاخرة، وما احتوت حقولها من نضرة وجمال.

واذا القى ببصره نحو مشرق الشمس رأى البحر وما فيه من سفن ذوات أشرعة، ونواتي ذوي حداء وزغاريد، وأمواج تتدافع، وشاطىء يحتضن المد تارة ويودع الجزر تارة أخرى والسماء من فوق ذلك كله باسطة ظلالها ليلا مع جمال البدر وناشرة شمسها نهارا مع روعة المنظر. هذه الصورة الشعرية التي يعبر فيها الشاعر عن احساسه الشاعري، إنما يعبر أيضا بالضرورة عن احاسيس أهل هذه المدينة وذلك لأن الشاعر عموما يعيش في مجتمع، فهو مرتبط —عادة— فكرا وروحا بالجماعة التي يعيش معها. ويشعر هو بما يشعرون به. ويحس هو بما يحسون، وبالتالي فتعبيره عن ذاته هو تعبير عن ذوات الجميع.

ولا يغيب عن ذهن الشاعر رمزية البحر. فالبحر —هنا— الصدر الرحيب الذي يمكن للشاعر أن يودعه أسراره. فالعلاقة وثيقة بين البحر والشعراء. فقد احتوى الأدب العربي والآداب — العالمية الشعر الكثير في وصف البحر وعلاقته بروح الشعراء. فمتى ضاق البر عن سماع شكوى أو ترديد آهات أو أنين ألم، إنكفأ الشاعر نحو البحر يسمعه أحاسيسه دون أن تضيق ألفاظه واوزانه.

واذا قرأنا شاعرنا عبدالحميد الخطي في ديوانيه الآخرين «اللحن الحزين» و«من كل حقل زهرة» نجد حلاوة النغم الموسيقي منسابا من بين ألفاظه السهلة الرشيقة التي تنقاد بسهولة الى معانيه الدقيقة. يقول في «اللحن الحزين» عن «ليلة النعيم»:

فسرت هزة انتشاء بجسمي
وهفا للقا سليل ضلوعـي
وصحا من خماره يتغنى
كالعصافير بشرت بالربيـع
هذه الليلة التي كنت ترجو
ان تراها ولو خيال هجـوع
فاغتنمها يا شاعري قبلات
وعناقا حتى انبثاق الصديع
واروها في الصباح للدهر شعرا
عبقريا يهز كل سميع
واطو يا شاعري صحائف سودا
كتبتها يد الأسى بالدموع

ويقول في رباعية من رباعياته التي يحتويها «من كل حقل زهرة» بعنوان «ديك الصبح»:

فأصخ للطيور تستقبل الفجـ
ـر على الدوح في أرق صـداح

وتأمل في الظل كاللؤلؤ الرط
ـب يحلى جيد الزهور الصباح
وارتشف ما يسيل من مقلة الفجـ
ـر حميا ألذ من كـل راح

مثل هذين النموذجين من الشعر يصدر عادة من شاعر شاب يرى الدنيا مراح رغباته مليئة بحبه. ولكننا رأيناهما يصدران عن شيخ وقور يرتدي العمامة والقباء وعليه سمات الاتقياء. ولكن الاحساس يرهف النفوس الشاعرة فتظل تغني من خلال عواطف شابه، وان لم تمتلكها حقيقة. والخيال وحده كاف في عملية التعويض عن الحقيقة بالمجاز، فالشاعر يصطنع كعادة الشعراء جوا من الهوى والخمر وما يكتنفها من المغريات التي لا تجد لها وجودا خارجيا في عالم الشعراء،كان الاحساس مرهفا لدى الشاعر فاستحال الى مرآة تعكس ما أمامها من أجسام ولكن في أثواب قشيبة لحمتها اللفظ وسداها الخيال. تشيع في شعره ألفاظ مثل: الطيور، والعصافير، والشحارير، والمياه، والشواطىء، والحقول والسواقي، والليل، والنهار، والزهور، والهزار، والقماري، والحميا ، والكأس الى غير ذلك من سمات الامتزاج بعالم الطبيعة.

على شعره ظلال من شعراء ابولو والديوان الذين حاولوا أن يسموا بالشعر العربي عن الصناعة اللفظية والتعقيد المعنوي. فالاغراض الشعرية التي تناولها الخطي مثل الوصف، والشكوى والمدح والرثاء، وسواها تبتعد عن منحى الشعر التقليدي، الذي يظهر لك وكأنما هو عمل فني قائم بذاته وملتصق بصاحبه، وبعيد عمن سواه. تقرأ شعره فتجد فيه الازدواجية المعروفة (السهولة والامتناع) يبدو هذا الوصف في مطالع قصائده على وجه الخصوص مثل قوله:

جمعتني الأقـدار من غير قصـد
لفريقين «ملتحين» و«مـرد»
قل للبراعة في يمين الشاعـر
بعض الغرور فلست عـدة ثائر
كرموه عند البكـا والنـواح
واتحفـوه الثنا زكي النفـاح
يا خط للصبر الجميل الا افزعي
نفذ القضاء وحم ما لم يدفـع
لا تثيري قلبا غفا لا تثيري
ودعيه يلهو كطفل غرير
اتراني اذا تلاشى كيانـي
اغتدي وردة بصدر الغواني

وهكذا تطلع قصائد الشاعر الخطي بمثل هذه المطالع الجميلة، تتبع القصائد مطالعها في الرقة والسهولة التي تخدم الألفاظ في ايجاد الصور البديعة والاجواء الجمالية التي يسمو اليها خياله الشفاف. وكمثل على هذا يقدم شاعرنا المبدع القصيدة التالية:

ارهفوا السمع وانصتوا يا رفاقـي
لأساطـير شاعـر خـلاق
رب يوم قبل العصافير في الغا
ب وقبل الشموس فـي الآفـاق
في سكون الدجـى في هدأة الجـد
ول فـي غفـوة الشذا العبّـاق
جئت أسعى لمشهد البطـل الفـر
د وسر المكـون الخـلاق
غربت أنجـم السماء ولاحـت
أنجـم في السماء ذات ائتلاق
والثريـا شفافـة تتجلـى
قد أحيطت مـن السنا بنطـاق
وبقايا الظـلام في غـرة الفجـ
ـر تراءت كالكحل في الآمـاق
من رأى الفجـر مصلتا ظبة النو
ر ويعدو خلف الدجـى بالعتـاق
والدجى خافق الجوانح واهي الـ
ـعزم في حيرة وفـي اطـراق
نهض الليل هاتفا بالنجوم الزهـ
ـر هيا قد آن وقت الفـراق
هكذا الفجر فل لليل جيشا
بعمـود مـن شقة الانبثاق

وهكذا يستمر الشاعر في ابداع الصور الشعرية الى أن يقول:

منظر ابدعت يـد الفـن فيـه
متعة النفس نزهة الاحـداق
ملأ النفس نشوة وارتياحـا
فوجدت المرير حلـو المـذاق
وسقاني من خمرة القدس كأسـا
حلّقت بـي لعالـم الاشراق
انا منها كأنني في ظلال الـ
ـخلد في جنب جـدول دفـاق
غمرتني الالطاف منهـا فآمنـ
ـت بأن الألطاف بنت العـراق

يلهم الشعر مـن دقيق المعانـي
وانــا شاعر المعانـي الدقــاق

والنماذج الشعرية التي يمكن ان تقدم كدليل على شاعرية الخطي كثيرة، ففي كل غرض تناوله قصائد متعددة. فغرض مثل الشكوى له فيه غير قصيدة. ويبدو لي من خلال قراءتي لشكواه ان شاعرنا شاعر شكوى وألم صب احساسه في بوتقات شعرية رقيقة تود وأنت تقرأها أن لا تنتهي شكواه حتى وان كنت تتألم بآلامه وتتأوه مع آهاته. وشكوى الشعراء صوت احساسهم المرهف الذي يستقر في وجدانهم وفي خلجات نفوسهم. الشكوى هي صوت الألم الداخلي الذي يعانيه صاحبه.

وشكوى شاعرنا ليست من جنس شكاوى المتشائمين، فهؤلاء يظللون شعرهم بظلال كثيف من الألم المر، مما يكون أحيانا على حساب الرونق اللفظي والجمال الشعري. بينما الشاعر الخطي، وان كان هو الآخر يظلل شعره بمثل ذلك الا أنه لا يكون على حساب الرونق والجمال لأن الخطي غير متشائم بطبعه، رغم توفر أسباب التشاؤم في حياته هو — هذا اذا كان شعر الشاعر سجلا واقعيا لحياته — والا فما معنى قوله:

لا تطلبوا وتري فليس بواتري
فرد ولكن كل أهـل زمانـي
أفردت في كـل الحوادث أمتي
خصمي وذو رحمي بهـا سيان

ومع هذا أعود فأقول إن الخطي ليس بمتشائم رغم توفر أسباب التشاؤم في حياته الاجتماعية، العامة، وربما الخاصة أيضا.

والشعر في إسلوب قصة نوع من الأساليب التي يقل تناولها لدى الشعراء. وهم حينما يتناولون مثل هذا النوع فانما يتناولونه اما في معرض الحدث التاريخي وهو ما اصطلح عليه بالشعر الملحمي، واما في معرض الحدث الواقعي وهو ما عرف بالشعر القصصي.

ومفهوم القصة في أسلوب الشعراء نظم الحدث الواقعي أو الاجتماعي في صورة لا تخلو بطبيعتها من بعض عناصر القصة كالشخصية والحبكة أو الحوار أحيانا. وأمير الشعراء أحمد شوقي أبرز من يمثل القصة الشعرية في تاريخ أدبنا المعاصر مثل «مجنون ليلى» و«عنترة» و«كيلوباترا». وهذا ما عرف لدى مؤرخي الأدب (بمسرح شوقي).

وشاعرنا الخطي ينحو منحى شوقي في هذا النوع من الشعر وله قصيدة بعنوان «عاشقان».

والشيخ عبدالحميد الخطي أديب أيضا، فلقد تخلف له عن أدبه النثري مقالات أدبية نشر بعضها في مجلات العراق ولبنان. وله دراسات نقدية تشمل تراجم لطائفة من العلماء والأدباء كالشاعر الشهير جعفر الخطي ومحمد الزهيري وعلي الجشي. ولعل هذه المقالات والدراسات هي محتوى كتابه المخطوط «خاطرات الخطي» وله كتاب مخطوط آخر هو «معركة النور مع الظلام» يعالج فيه قضايا اجتماعية وموضوعات فكرية.

ومع مكانته الأدبية فانه يحتفظ بمكانة دينية أيضا ولعل هذه الأخيرة هي السبب المباشر الذي دعاه الى هجر الشعر في الفترة الأخيرة، والزم نفسه بهذا الهجر وكأنه قد أضفى على ذلك الالتزام السلبي صبغة شرعية، تبدو من خلال شخصيته الدينية. ولعل أصداء قول الامام الشافعي رحمه الله تتردد على شفتيه:

ولولا الشعر بالعلمــاء يـزري
لكنت اليوم أشعر مـن لبيـد

ونحن لا نرتضي مثل هذا الالتزام الذي نعدّه تحجيرا على الشاعرية وتجميدا لموهبته. وهو مع قدرته اللغوية وشاعريته الغزيرة يعد توقفه عن العطاء الشعري موقفا غير محمود من لدن قرائه الذين عودهم على عطائه في كبرى المجلات العربية مثل «العرفان والاديب والالواح» اللبنانية و«الاعتدال والغرى والهاتف» العراقية و«المنهل» السعودية و«الرائد» الكويتية و«صوت البحرين» البحرانية □

المصادر

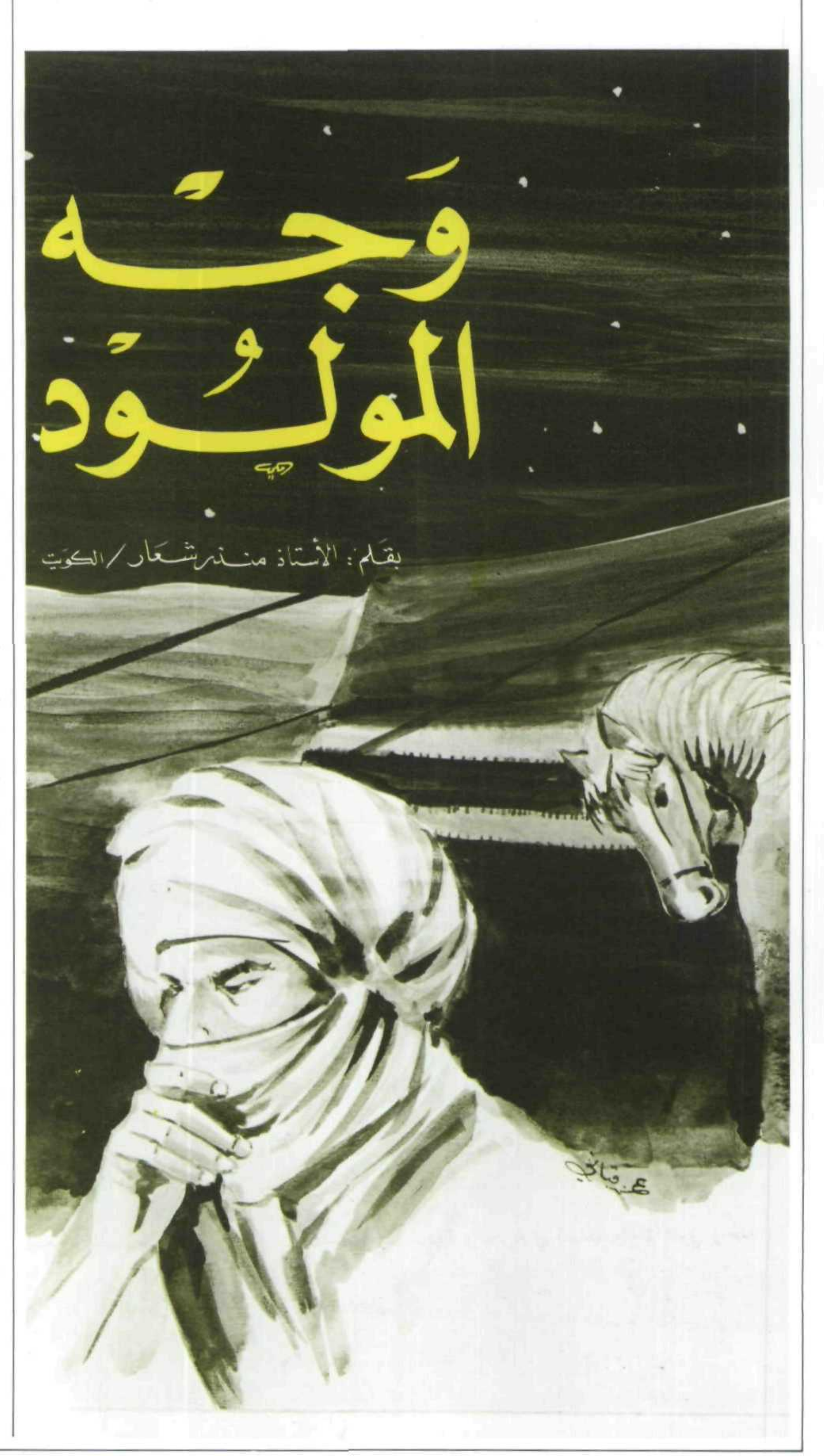
— الشيخ عبد الحميد: دواوينه الثلاثة المخطوطة ومعلومات «احتفظ بها» بإملائه وخط يده.
— علي الخاقاني: «شعراء الغري».
— محمد سعيد المسلم: «ساحل الذهب الأسود».
— عبد العلي آل سيف: «القطيف وأضواء على شعرها المعاصر».
— أحمد شوقي: «الشوقيات».

في ذمــة الله

فقدت الحركة الأدبية والفكرية في المملكة والعالم العربي واحدا من أقطابها الذين حملوا لواءها وأثروا رصيدها.. انه الأديب الشاعر طاهر زمخشري. أحد الحائزين على جائزة الدولة التقديرية للأدب في المملكة.. تغمد الله الفقيد بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان.. انا لله وانا اليه راجعون.

وجه المولود

بقلم: الأستاذ منذر شعار / الكويت



خرج «ذيب الشيباني» من دياره متجهاً اتجاهاً بعيداً، وعلى عينيه اصرار من لا تتعب في سبيل مراده رجلاه.

ومشى في الفيافي، ترفعه فلاة وتخفضه فلاة، راجلا منفردا كأنه «لا شيء» في وسط الصحراء التي تبتلع كل شيء..

وكان ذيب هذا يعيش متنقلا في القبائل: اذ انه اختلف مع قبيلة فحرد عنها وخالف.. واليوم ذكرت له فرس شريف شيخ فسار يغزوها..

والغزوة والغارة عند الاعراب قِدْماً شرف وشهامة ومروءة وكسب، وان تعجب فعجب غارة ذيب على فرس ذلك الشريف الرئيس وهو منفرد على رجليه..

ولكن أحاديث البادية في منتهى العجب والاعجاب، وما من حدث في الفلاة — وان كان يسيرا — الا كان له أعظم الاستقطاب.

وكون رجل فرد يقترب من مضارب شيخ رئيس ليغزو أعزَّ ماله وكنوزه يقربه جدا من الموت الزؤام، والغزاة يعرفون هذا، فالمغامرة فيهم متوفرة، وارواحهم رخيصات، وعلى الأكف محمولات، في سبيل أن يقوم لأحدهم حديث حسن، يذكر به ويُشهر.

وقد وصل ذيب — ذلك المطرود المخلوع — الى حدود الشريف، وكان اسمه خالدا، فمن حسن الحظ، أو من تصاريف القدر أن كان خالد غائبا مع رجاله في غزاة، وبيته مفرد، والفرس مربوطة، أخذها اسهل من أخذ الحمال حماره الى السوق.. ولكن ذيبا في ذلك اليوم لم يأخذ الفرس. اذ كان له مانع يمنعه، وعائق يعوقه، وحاجز من رفيعة التقاليد يحجزه..

كيف؟؟! ! ...

لقد اقترب حتى عاين المكان، وعرف كيف، بعد قليل، ينسل ويفك الفرس ويرجع بها.. ورسم الخطة، ثم.. تأخر ينتظر هبوط الليل، «فالليل أخفى للويل» كما كان قال اكثم ابن صيفي، في عمق الجاهلية، ومثل هذا الغزو الانفرادي لا يكون في النهار الا اضطرارا..

وتأخر ذيب فاختفى تحت صخرة، يتربص، وينظر في الجو كل لحظة، كأنه يستعجل الظلام.

وتحدث مع نفسه كثيرا، وهل هناك شيء غير حديث النفس يكون في هذه الاحوال.

فقال في نفسه: حظ حسن، القوم غيب، والحي خلوف، والبيت الرئاسي مفرد، والفرس الثمينة الاصيلة معرضة، ولا حارس ولا حافظ ولا رقيب..

فحفظ حسن هذا، وقد مشيت من البلاد دون ضياع. اذن، ولم يذهب تعبي سدى.. وحقا.. من سار على الدرب وصل، وأُخِرَ بمن غامر ان يبلغ المراد.

وقال ذيب لنفسه: لكن ما هذا التغرير الذي عند خالد؟! ايترك فرسه وهي أغلى كنوزه هكذا معرضة، ويذهب عنها دون حارس ولا رقيب، أفلا يخاف غازيا أو مغيرا والصحراء اخطار؟

ولقد كان خالد عدوا لقوم ذيب، فالاغارة الآن سليمة، في عرف البادية يومئذ، فبينهما حالة حرب كما يقولون اليوم، وعلم ذيب أن خالدا حين ذهب بقومه للغزو لم يركب فرسه هذه الاصيلة، ضنا بها، فعنده افراس وخيول، ولعله يجنبها لرحلة اجلّ.

ولكن لا.. كان المفروض أن يأخذها، ويركبها وعليها يغير وعليها يعود بالغنيمة، لكنه الهم تركها لأن المقدار جرى أن يأخذها ذيب، واذا جرى قلم القضاء فلا يقف امامه شيء.

وحلّ الظلام، وانتشى وهبط، وقام ذيب، كالذيب انسلالا، وكالنار اشتعالا، وكالحية مباغتة، واقترب من مربط الفرس حذرا، يتلفت ويتنصت، واقترب أكثر حتى كان أدنى ما يكون من البيت والفرس.. فسمع أنينا.. يا ربي..

وانه لأنين امرأة.. امرأة.. والأنين يتوضح ويقوى، ويا لله، كيف ينبعث الأنين من بيت في ساعة كهذه ليسمعه رجل مباغت تقدح عيناه شررا!!..

وعلا الانين.. ثم انخفض، ثم علا.. وكان أنينا بما لا تستطيع لغات الأرض التأثير في سامعه مثله.. انين امرأة في ليل ببيت مفرد.. وذيب يعلم ان لا رجل موجود سواه..

وتغير الموقف، بسرعة، وأصبح هَمُّ ذيب أن يعرف سبب انين المرأة، لا فك رباط الفرس، وآمر نفسه بسرعة، هل يدخل على المرأة؟ وأجاب: لا بد.. فهي وحيدة.. والجيران منها بعيد.. ودخل دون تردد، ولم ترد المرأة بأسا في دخوله، لانها كانت في حال من يطلب النجدة، وقال ذيب بأدب جم:

— ما الأمر يا أخت العرب؟!

قالت:

— اني في المخاض.

وفهم ذيب، المرأة في غياب زوجها جاءها المخاض دون توقع، او يكون خالد اراد الرجوع قبل اليوم فأخره مؤخر..

وقال ذيب:

— لا تراعي.. سأستدعي لك امرأة من البيوت، وأصنع لك طعاما..

وانطلق بسرعة في الظلام.. يبحث حوله عن بيت قريب، وان من عادة الرؤساء جعل بيوتهم بعيدة عن الحي.. ولعل خالدا جعل خدما يتفقدون امرأته فجاءها المخاض ليلا في وقت راحة تفقدهم.. ولمح بيتا، فانطلق نحوه.. ومر بمربط الفرس، ليس بينها وبينه الا اشبار، وما يستغرق فك رباطها الا هينة.. ويا للقدر!! كيف وضع ذيب الآن في هذا الموقف.. الفرس التي سار اليها من المسافات حاضرة، ولكنه.. لا يستطيع.. وقال لنفسه:

— ان غزوي لا يزال قائما، فاذا ادركت المرأة وأطمأننت اليها.. فالفرس مبذولة قريبة، وانطلق الى البيت.. وعاد بامرأة.. فدخلت على الماخض تعينها، وانزوى خارجا يصنع طعاما للوالد المحتاجة له، بعد أن اخرج آلته من كسر البيت..

وكان يسمع صياح المرأة وهي تلد.. واعانة المرأة لها.. حتى سمع صراخ المولود.. فاستبشر.. وصاح بالمرأة المعينة فجاءت فأخذت الطعام، وكان الصبح قد برق.. وآمر نفسه أن يسرع الى الفرس فيطير بها الى دياره، وكانت الفرس منه قريبا، لكنه أحجم، وامتنع.. اذ لم تطعه مروءته.. ان يسرق الفرس على وجه المولود، وتروّى قليلا، وأقبل وتأخر، وهم ولم يفعل، وانتصرت فتوّته اخيرا.. وقامت عقبات امامه دون الفرس. فالآن عرف أن القدر لم يترك الفرس معرضة امامه عبثا، وكان لها من مروءة فتيان العرب أعظم حارس.

وايقظه من تفكيره صوت الأم تناديه، فدخل اذ خرجت المرأة الأخرى الى بيتها، وهي تظنه من رجال الرئيس، وقالت له الأم:

— والآن.. من أنت؟

فتلكأ..

وهل يقول لها انه غاز لكم مغير على أموالكم.. وتالله ما في غير بلاد العرب يكون العدو في لحظة من اللحظات أعظم صديق.

وقالت المرأة:

— ما لك لا ترد؟!! من أنت؟ على أنك شهم كريم، فعلت ازائي ما تقتضيه المروءة، فأكمل مقتضيات المروءة وصرِّح باسمك.

قال:

— أنا ذيب الشيباني.. جئت اغزو فرس زوجك، فأخَّرني في الأول انينك وحاجتك لمعين، واخَّرني في الثاني هذا المولود، فقد كرهت أن اسلب الفرس على وجهه الصبيح.

وسمعت فجأة في الحي ضجة.. صهيل وسنابك وقعقعة وهتاف.. لقد عاد خالد برجاله من الغزو..

وقالت المرأة:

— ابق هنا يا ذيب، في حمايتي، وسأقدمك لعدوك: زوجي. قال والضجة تعم:

— في حمايتك؟! قالت:

— بل في الحقيقة في حماية مروءتك..

ودخل خالد بالسلاح..

وكانت نظرات..

خالد يفاجأ بالمولود، وبالرجل.. وذيب صارم صامت..

والمرأة مبتسمة مستبشرة..

— أهلا بالزوج الوالد.. رزقت غلاما، وتأخرت ليلة.

قال:

— ما كنت اتوقع أن تلدي في غيابي.. قالت:

— فقد كان هذا.. وكنت مفردة.. جاءني الطلق فجأة، فلولا هذا الشهم.. لمسَّني الشر مسا، وهل تعرف من هذا؟ هذا ذيب، عدوك.. وقال خالد:

— ذيب؟؟ يا لله.. ذيب نفسه؟؟

وقال ذيب:

— باختصار.. جئت غازيا فرسك، وكان الحي فارغا والفرس معرضة، فمنعني انين زوجك اولا ثم وجه ابنك ثانيا، كيلا تتشاءموا به عمركم وتقولوا: على وجهه سرقت الفرس، وكان قدومه شؤما..

ويا له من كلام..

نجدة واعانة ام وتقدير مولود، واحساس كريم تجاه انسان محتاج..

وقال خالد:

— يا لهذه رحلة ويا لهذا رجوعا، اسمع يا ذيب.. تبقى في دياري معززا، وفي الصباح.. اذهب وقبيلي.. الى قبيلك.. فأصلح بينك وبينهم أولا.. ثم أصلح بين قومي وبينكم ثانيا، ولن تجازى الا بكرم أيها الكريم.

وانطوت القصة، وغابت شخوصها، وقامت في الأسمار والاحاديث اخبارها.. ان الصحراء هي الصحراء، وان العرب هم العرب، بداة وحضرا، محاويج ومغاوير.. □